روايات عبير

٤١٥

الرغبة والخوف

www.elromancia.com

مرمورية

روايات عبير

NO:415

البطلة لا تؤمن بالحب من أول نظرة

ألقت "هنه" برأسها على كتف "سام" وكأنها اعتادت ذلك مئات المرات ، وأحست بنبض قلبه وهو يكلمها عن قوته وإخلاصه ، عن آلامه وسروره ، عن رغباته وكنوزه ومع أن "هنه" لا تؤمن بالحب من أول نظرة ، فقد تبينت أن هذا الرجل استولى على جزء منها ، جزء لم تكن هي نفسها تدري به .

في مزرعة "باكينون" قضت "هنه" ومساعدتها "كلويه" أطيب الأوقات ، لكن إصابتها بالصمم كانت حائلا بينهما فهو محترق بين كرامته ورغبته ، وأخيرا دفن رأسه في شعرها المعطر الطويل وهو يدغدغ صدرها وراح في حلم بعيد لايملك أن يبعدها عن ذهنه .

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ف	مصر	٣ ج
سوريا	٧٥ ل	الامارات	١٠ د	المغرب	١٠ د
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د
العراق	٥٠	قطر	١٠ ر	تونس	١.٥ د
السعودية	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر

CanadA	5$	Greece	1200Drs.
U.K	1.5	CYPRUS	1.5 P.
France	15F.F		

شخصيات الرواية

١ - "سام ماكينون" : رجل اعمال وصاحب نادي "فلاينز" ورئيس إدارة عدة بنوك يمتلك ورشة سيارات سباق

٢ - تريفود ماكينون : شقيق "سام" اشترك في السباقات الكبيرة يعشق سباق السيارات ، والنساء .

٣ - الام مدام ماكينون : تعيش في مزرعة الأسرة . أرملة .

٤ - هنه الكسندر : مصورة فوتوغرافية ماهرة ، فتاة صماء تعيش في "ريتشمون" ، تعمل في شركة "جادي شروين"

٥ - كلويه ويللتر صديقة "هنه" ومساعدتها وسندها الأول

٦ - "فرانك هوفمن" : رئيس عمال ورشة "ماكينون" لسيارات السباق، في الخمسين من عمره ، يحبه "سام" ويقدره و له ابنة اخ صماء لا تتكلم .

٧ - الجوماللييني : شريك "سام" توفي في حادث سباق السيارات

٨ - "بيترواطسن" : وكيل اعمال "هنه"

٩ - "شيللاميريت" صاحبة معرض "جاليري شيللا ميريت" متذوقة للفن .

الغلاف الأمامي

"هنه الكسندر المرأة الصماء ، المصورة الطموح . أرادت لـ"سام ماكينون" رجل الأعمال الثري أن يتعود الشعور باشياء ، فقد تملكته وهو لا يملك أن يبعدها عن ذهنه ، فهما يتقاسمان آلاف الأحاسيس والانفعالات ولكن توجد أيضا أشياء مهمة جدا لن يستطيعا تقاسمها، ويجب أن يعتادا ذلك ، تقدم "سام" بخطى واسعة في تعلم لغة الإشارة حتى يتقرب منها ، ولكن هيهات هيهات. إنها قاومت خطرا علمتها الحياة الا تثق باحد ، كما تعلم هو أيضا الا يخاطر بمحو المسافة ، وأحس بانها تخفي في قلبها شيئا ما ثقل عليها .

هل سينجح في محو تلك المسافة حتى ينشا بينهما تفاهم والفة مع هذه الدقائق القليلة التي جمعتهما ؟

هذا ما تكشف عنه الرواية .

www.elromancia.com

الفصل الأول

أوشك شهر أبريل على الانتهاء، نحن في ساعة متأخرة من الليل، ولكن يبدو أن أحدا لا يبالي فإن نادي "فلاينز" وهو الأشهر على شاطئ البحر ما زال يعج بجمع مرح لاه. الموسيقى صاخبة عالية تهتز لها الجدران والراقصون على الحلبة المطلة على المحيط يتمايلون جنبا إلى جنب.

وبهدوء، ومن الشرفة الدائرية التي تعلو القاعة الكبيرة يسقط منديل من ورق وهو يرسم دوائر في الهواء على مائدة "هنه الكسندر" بالقرب من يدها.

رفعت السيدة الشابة رأسها فنظرت رجلا يتفرسهاوهو متكئ على درابزين الدرج المعدني وبين أصابعه كوب شراب، وتلاقت الأعين وكانها على ميعاد من زمن بعيد.

هي لم تتحدث أبدا إلى هذا الرجل ولكن وجهه يبدو لها مألوفاً، وهو قمحي اللون مائل للسمسرة، وقد نجحت نظراته وعيناه في التلطيف من قوة وجراة ملامحه، شاربه لم يجعله جميلا ولكن

شيئا ما جذبه إليها، هذه الجاذبية التي لم تدر لها تفسيراً وكان به شيئا ما ساخرا وخطيرا للغاية.

أحبت "هنه" فيه أيضا هيئته، على كل فإن دراسة الهيئة والزوايا والأشكال هي شغلها الشاغل.

وقد أقلقها تخمينها، كان يبدو قويا واثقا بقدرته ولكن انحناء كتفيه يدل على أن قوته الحقيقية تكمن في عقله وليست في عضلاته.

كانت "هنه" تعشق مراقبة الناس ودراستهم وكان لها حاسة سادسة بها تكتشف الشخصية الحقيقية لكل منهم.

وبدا لها هذا الرجل وكانه يريد أن يكون كتابا مفتوحا لها وكانه لا يجد مشقة في إيجاد أصدقاء له.

فهو محاط بمجموعة صاخبة، ومع ذلك فنظراته لم تبرح عينيها.

- "انت" تلهو"، همسها في أذنه أخوه "تريفور ماكينون" وهو يتكئ بجواره على درابزين السلم.

- نعم إني الهو في سكون كاني ثمل للغاية..

- أرى ذلك فإن الرادار نشط... من هي المستهدفة؟ الجميلة السمراء التي بأسفل؟

هز "سام" رأسه موافقة، هو يراقبها منذ لحظة، إنها فتاة رائعة هي لا تهمل أنملة مما يدور حولها، فهي تبدو كمن تحكم على الحفل دون أن تشارك فيه حقيقة، لماذا لا ترقص؟ يا إلهي! كم هي جميلة!!

قال "تريفور":

- أنت على حق" لا بأس بها، أما صديقتها فمزعجة، تصرف وحدك.

لم ينتبه "سام" إلى كلام "تريفور"، هما أخوان ويعملان معا مئات الأشياء تقربهما لبعضهما إلا النساء.

كان "سام" يريد أن يكون وحيدا، فهو يريد أن ينظر هذه الفتاة ويتاملها لأكثر، فهي غير عادية.

وتعلقت به نظراتها وكانها مسلوبة الإرادة، عادة هي لا تحب الرضوخ ولكن هنا شيئا ما يجبرها أن تدير رأسها، إنه نداء لطيف جدا وملح ينتهي بـ"لو سمحت" رقيقة جدا، فهذا البريق المثير الذي

لمحته في عينيه عندما ابتسم لها أخيرا جعلها تمسك أنفاسها ، وأشار لها بيده كمن يريد أن يقول لها شيئا فتلفتت "هنه" حولها .

ولم يلحظ أحد شيئا وأجابت هي إشارته دون أن تفهم ما يريد،وأخذ هو يربت كوبه وعيناه مغلقتان على شيء على منضدتها، نظرت ولمحت المنديل الورقي ، فأخذت تعبث به وتدعكه في يديها ثم تقلبه . كان مكتوبا عليه بخط جميل : "أنت رائعة" ، رفعت عينيها ذاهلة - فنظر إليها مبتسما وتأكدت مجددا أنها تعرف هذا الوجه .

وتزاحمت الأفكار في رأس "هنه" ، ولكن بدلا من أن ترضخ للأحاسيس التي بدأت تجتاحها فقد قررت أن تمسك عنها . يالها من غبية !

قد يكون هذا الرجل من الباحثين عن الغانيات وقد يكون الأمر في نصف الكرة الشمالي وهذا الإطراء هو إحدى حيله عند الضرورة . نظرت إليه من جديد وهذه المدة كالفاهمة للعبة وأنها ليست لديها النية للمشاركة فيها ، وشكرته بحركة من رأسها واستدارت إلى رفيقتها .

في الحقيقة لم تكن "كلويه" رفيقة بل أسوأ ، كانت عاشقة وليست "هنه" ضد فكرة العشق ولكنها كانت عاشقة متعبة .

ولم تعرف "هنه" أبداً أن تقلد الأخريات ، فقد ورثت عن أمها أن تأخذ الطريق المضاد للمطلوب وأن تتشبث به . ولم يكن هذا هو الحال مع "كلويه" فهذه عاشقة وتصر على أن تكرر لها ذلك مرتين في الشهر تقريبا .

وتفكرت "هنه" وهي تتفحص وجه "كلويه" ، هذا الوجه الهادئ المزين بالنمش وهاتان العينان اللتان وسعتا بسبب تعلقهما بهذا الموسيقي الذي يتوسط الحلبة ، وهو يبدو تائها في عالم خاص به ، يحلق في سماء ليست هي بها . وفجأة لمحته يغمز بعينه إلى أحد ما على حلبة الرقص .

هذه الحركة المبهمة أزعجت "هنه" ، فهي قد أتت إلى هذه الحمامات قبل وفود المصطافين للاسترخاء ولم يكن في خططها أن تتحمل دلع صديقة مريضة بالحب . وتنهدت وهي تنظر إلى الشابة الجالسة

بجانبها ، هي تتذكر أن سن العشرين لم يكن سهلا أو مسلياً وخاصة إذا كانت تسمى "كلويه" ومع أنها متعاطفة مع ألم "كلويه" ، إلا أنها لا تعقل كيف أن مثل هذه الفتاة انزلقت إلى مثل هذا .

لقد سكنت "هنه" بجوار منزل "كلويه ويلليز" ووالدتها "داون" منذ تسع سنوات ، وبسرعة تعودت الطفلة ذات الاثنتي عشرة سنة أن تروح وتجيء بين المنزلين ، وشاهدت "هنه" "كلويه" تكبر وتصبح شابة راشدة .

ولكن خيالية ، هذه المراهقة المتشاحنة دائما مع أمها تحولت إلى شابة طموح حالمة تتمنى أن تتزوج ثريا مثيرا .

ومع أن "هنه" تعتقد أن طريق السعادة ليس هو بالارتباط بشاب ذي شعر طويل يدعى "راندي واندية" ولكنها قررت أن تعمل المستحيل كي تساعد وتحمي "كلويه" .

وفي قرارتها ستظل "كلويه" بالنسبة لها هي الفتاة الصغيرة التي قبلت بسرور وبساطة صداقتها .

فـ"كلويه" لم تكن أبدا وقحة متكبرة أو مزعجة ، فقد كانت وديعة ومحترمة و"هنه" تحبها . وهذه الدعوة التي وجهتها لها "كلويه" كي تأتي لتتأمل هذا الزوج المحتمل ونجمة المستقبل ما هي إلا تعبير عن الثقة بها . وايضاً "كلويه" لا تحب النصيحة فهي تريد أن تكون مستقلة لا تحب النصيحة فهي تريد أن تكون مستقلة وتعرف أن "هنه" تحب الرقص ولكن ليس على الملأ ومع أناس لا تعرفهم . فإن الأحاديث التي يفرضها الرجال في مثل هذه الأماكن تضايقها ، وتعلم أنها لا تشعر بالراحة مع أشخاص لا تعرفهم وتتجنب بقدر الإمكان أن تتحدث إلى أجنبي عنها . ومع ذلك فصحبة الناس تجذبها فهي لا ترفض أبداً سهرة أو صحبة جمع ولكن على شرط أن تظل هي مراقبة ، هي تنظر حولها ، وهذا الذي تراه يأسرها .

فهنا رجال يبحثون عن زوجة ونساء عن زوج ، آخرون جاءوا ليستدفئوا ، أو لينسو أو ليذوبوا في الجمع ويحتموا فيه . البعض يعرض صراحة صداقته والبعض يختفي في الجمع وآخرون يلعبون بالسيطرة على أقرانهم أو يقضون الليل معا في استرجاع الذكريات ،

ويوجد أيضا ملاحظون آخرون مثل النادل أو مثل " هنه" التي تجيل نظرها في أرجاء المكان وأقدامها تدق على نغمة الموسيقى . هي تشعر بالموسيقى تتغلغل في جسدها فالدرجة سريعة وهي تتحرق للرقص، ألقت نظرة إلى ساعتها فأيقنت أنه لم يعد لها غير نصف ساعة لتتحمل هذه الرغبة . وتفاديا للنظر إلى فوق إلى الشخص الذي يراقبها فقد أدارت رأسها إلى الناحية الأخرى إلى السماء والمحيط . الظلمة تلف المكان . الأمواج تلمع . أحيانا تمر سحابة فتحجب القمر.

ولم تستطع أن تنعم تماما بهذا الجمال الهادئ . فالظلمة والليل لا يريحانها . هي تحب النور.

وشعرت "هنه" أن يدا لمست كتفها . إنه رجل الشرفة بجانبها . هو أكثر جاذبية مما كانت تحسب بل وأكثر طولا . وكان قلبها قد توقف عن الخفقان . فهي جاءت إلى هنا لتتفحص المجهولين لها المحيطين بها ولكن يجب أن يظلوا مجهولين . وتحققت أنها جافلة بل مرتعبة وهي تقابل الكثيرين في حياتها العملية بل تتخذ منهم أصدقاء وهناك أيضا القليلون الذين أرادت أن تتعرف بهم ولكنها تتهرب منهم خوف جرحهم أو إهانتهم لها وهذا الرجل هو منهم

- " مساء الخير "، قالها بصوت مسموع حتى لا تغطيه الموسيقى.

اكتفت "هنه" بإشارة من يدها ، فسأل " كلويه" "أهي حية أم ميتة؟" وابتسمت "هنه":

- هل ستشتاقين إليها كثيرا لو دعوتها للرقص ؟

عبست "هنه" . هي لا تعرف ماذا يمنع أن تقبل في التو . فهذه الدعوة جاءتها من السماء . هي متشوقة للرقص ومع ذلك هي مترددة. هي تعرف المخاطر. هي تتصور انعكاس ذلك على وجهه . لو يعرف الحقيقة : الصدمة عدم المصداقية ، والحذر كل هذا خمنته . ومهما أحست ببعض الشجاعة اليوم فهي لم تستطع أن تتغلب على الخجل الذي يلازمها منذ الصغر.

وكرر دعوته بصوت خفيض : "أترفض ؟" وابتسمت "هنه" ولمست بخفة ذراع "كلويه" واستدارت الأخيرة وتمعنت فيه وبعد أن تفحصته جيدا نظرت إلى "هنه" وأومأت إليهما بالموافقة.

هو يشبه لاعبا محظوظا وتعلقت آماله بخصر "هنه" وقادها إلى وسط الحلبة وهو ينحي الراقصين جانبا بثقة عجيبة . لم يكن فظاً معهم فقد تباعد الراقصون وهم يبتسمون حينما تعرفوا عليه.

وخالج "هنه" شعور غريب مثل إحساس الإنسان قبل السفر حينما يحاول أن يتذكر إن كان قد أحكم إغلاق الأبواب أو فصل المكواة وحينما يقلق على تأخر الطائرة وإمكان سقوطها أو تصور احتمال ألا تنعم بصينية جميلة . وتوقفت الجدران عن التراقص فقد توقفت الموسيقى عندما وصلا إلى وسط الحلبة ، وتفرق باقي الراقصين.

وجفلت "هنه" هل حان الوقت كي يكلمها ؟ وتقابلا مع الراقصين الآخرين وتبادلت هنه الابتسام مع فارسها . ومع ذلك فبعض النظرات أكدت لها الشك في أنه ليس من رواد "الفلاينز" المعتادين وحينما وصلا إلى المكان الذي أراده في الحلبة التفت إليها فجأة برقة وإعجاب وتأمل جسدها وهو ما زال ممسكاً بخصرها ، فدق قلبها واضطربت، أما هو فقد بدا سعيدا بذلك . قال الفارس وهو يبتسم :

- لا أستطيع أن أصدق أني يجب أن أعارك كي أحظى بهذه الرقصة.

لم تفهم "هنه" ولكنها ابتسمت . وظل هو يتابعها بنظراته وكأنه يجمع معلومات . كان هذا غير محتمل وهم أن يتكلم عندما عزفت الموسيقى ثانية . فرمق هو الموسيقيين بعدم رضا، التفت إليها ، وهي الأخرى ضايقتها الرنات الموسيقية . أحاطها بذراعيه ويدها على كتفه ورقصا هادئة ، ولكنها زادت اضطراباً ، فإحساسها لا يخيب : هي قطعا تعرفه مع أنها واثقة بأنها لم تقابل قط رجلاله عليها مثل هذا التأثير.

ورفعت عينيها مرات كي تعرف لون عينيه وتعثرت في رقصها لأنها لا تتبع إيقاعها وابتسم كأن هذا شيء طبيعي ، ورويدا رويدا استرخت أعصابها . ولم يكن هذا هو حال "سام" وكأنه ضفدع في معمل تشريح . هو راقص المئات من النساء ولكن ما من واحدة كان لها مثل هذا التأثير عليه . لم يكن لإحداهن مثل هذه العيون الواسعة الصافية وهذه النظرة الرائعة التي أتته من بعيد الزمن لتلاقي عينيه ، لم تكن

لها هذه الشفاه الممتلئة التي تدعوك لتقبلها ولا بشرة الأطفال الناعمة - تماما مثلما حدث له عندما راقص للمرة الأولى سيدة جميلة فلم يكن يدري كيف يكون وضع الأيدي ولا ماذا يقول لهاوهو لا يريد أن يزعجها .

كانت "هنه" تعشق الرقص ، وكانت لها هذه الموهبة ، فكل خلجة من خلجاتها تتمايل مع الموسيقى . ما عليها إلا أن تكون طبيعية.

هي سمعته يقول شيئا . هي واثقة بذلك . وطالبته نظراتها بتكرار ما قال . ولكن صخب الموسيقى العالية اضطره أن يباعد مقاطع الكلام . فعبس وجهها فهي لم تفهم بعد وانحنى "سام" إليها واقترب أكثر فاكثر حتى لا مست أنفاسه أذنها ودغدغت رقبتها فانفجرت ضاحكة، وضحك هو أيضا وكف عن الكلام في هذه الضوضاء . وأحست أنه مختلف . فقد كان لهما متسع من المكان كي يتحركا بحرية بينما يتصادم الآخر ون وكان قوة مغناطيسية به تبعدهم عنهما ، شعره الأسود القصير غزير . هو ليس مفتول العضلات لكنه ذو بنية تنطق رجولة وصحة . تقاطيعه محددة . الجبهة عريضة ، الأنف مستقيم والفك مربع ولكنها ابتسمت حين لاحظت أن حاجبيه طويلان مع كل ما ينطق به وجهه من رجولة .

لاحظ "سام" ذلك فرد الابتسامة ، أحبت "هنه" تقاطيعه ، ولم يكن ضروريا أن يتكلم فقد سرت في جسدهاحرارة وأيقنت أنه يجدها جميلة وأخيرا استطاع أن يكون مسموعا .

- هل تعيشين في "فرجينيا بيتش" أو أنك تقضين إجازة الصيف ؟ اسمعي ، هل تعيشين هنا ؟

أومأت برأسها مع أنها لم تسمع جيدا سؤاله . وعلى العموم فقد سرته إجابتها ، وتابعا الرقص تصلهما النظرات والابتسام ، ونشا بينهما تفاهم وألفة مع هذه الدقائق القليلة التي جمعتهما ، وكأنهما خلقا لبعضهما . ألقت "هنه" برأسها على كتف "سام" وكأنها اعتادت ذلك مئات المرات . وأحست بنبض قلبه وكأنه يكلمها عن قوته وإخلاصه ، عن آلامه وسروره ، عن رغباته وكنوزه .

ومع أن "هنه" لا تؤمن بالحب من أول نظرة فقد تنبأت بأن هذا

الرجل سيستولي على جزء منها جزء لم تكن هي نفسها تدري به ، ولم تنتبه إلى توقف الموسيقى إلا من انصراف الراقصين وتنهدت .

حاول "سام" أن يستبقيها بين ذراعيه ولكنها ابتسمت وأفلتت ، وعندما أيقن أنها لن تهرب تباعد حتى يتملى منها . ولكن نظراته أغاظتها فقد بدا وكأنه يبحث عن سردفين في عيني رفيقته وسألها:

- من أنت ؟ قالها بصوت ونظرة بهما بعض القلق .

دهشت "هنه" ولكنها ردت بابتسامة :

- امرأة لغز ؟

اكتفت "هنه" بان داعبته بأطراف أناملها فلامست خده وذقنه .

- اسمي "سام" .

لم تجب . وعادت الموسيقى مدوية . وصاح هو :

- "سام" ... "سام ماكينون" .

رفعت "هنه" يدها إلى أذنها لتشير إلى أنها لم تفهم - أغلق "سام" عينيه لإحباطه ، ثم جذبها من يدها بعيدا عن الجمع إلى الشرفات الزجاجية التي تطل على المحيط وقد غطت زجاجها حرارة الحجرة ورطوبة ليل أبريل بغيامة خفيفة . وعلى ركن من الزجاج كتب اسمه ومدت هي إصبعها وفعلت مثله . ونظرت إليه مفتونة وتوقف تفكيرها ولم تدر كيف وقعت ثانية في ذراعيه ومتى رغبت في أن يقبلها وتحققت الرغبة المحمومة . اقتربت وانحنت بجسدها فضمها إليه وأحست بطرف لسانه يلامس أسنانها ويدخل لفمها ، وأخذ يدغدغها حتى استسلمت له وكأنها على حافة العالم وليس أمامها إلا هو لتتشبث به . وانفصلا . وشعرت "هنه" أنهما مرتبطان بشيء أقوى من الكلام وأعظم من القبلات .

كانا سعيدين ويتلذذان بأحاسيسهما : فكلا هما يعلم أن هذه السرعة وهذا العنف ليس لهما تفسير .

وكان سام لا يعتمد على الحظ .. كانا وحدهما وكل شيء كان يبدو لهما بعيدا : الموسيقى ، الراقصون ...

وهي كانت تدعوه إلى النظر إليها وإلى تأملها طويلا ، وهذا مبتغاه وأيضا هو يريد ويحلم أن يداعبها ويتنزه معها وأن يسمعها تضحك

وتبكي من الفرح ، هو يريد أن يأخذها وأن يذوب فيها ، وداعبت يده خصلات شعرها الأسود المسترسل على كتفيها وكانه مس شيئا ثمينا هشاً . وكان قلب "هنه" سينخلع من الخفقان وفجاة ارتجفت "هنه" و هي تستدير . فقد رأت بالقرب منهما الشقراء التي كانت جالسة معها منذ برهة . وقالت "كلويه" وهي تبتسم بخبث :

- أنا لا أحب أن أقطع الأوقات الحلوة ! ولكن حان وقت الإقفال .

تبادل "سام" و "هنه" النظرات وضحكا بصوت خفيض فلم يكونا يودان أن يفترقا ، وقالت "هنه" .

- شكرا لهذه الرقصة ، كانت رائعة ، فأجابها :

- انتظري . انتظري هنيهة ، يجب أن ... أحقا يجب أن تتركيني الآن؟ أنا ... هذا المكان ، ونستطيع أن نجلس ونشرب مشروبا ونستطيع أن نتحدث في مكان آخر . فتساءلت بصوت خفيض وعميق :

- نتحدث ؟ فيم نتحدث ؟

- فقط ... نتحادث . أنا لا أعرف حتى اسمك .

نعم . الآن . ها هو الوقت قد حان . إن "هنه" تعرف تماما هذه اللحظة . اللحظة التي قد تثير إحساسا بالتجاوب أو الرفض أو حتى الحيرة . وتأرجحت أحاسيسها وهي تنظر إلى عينيه بين السعادة والأمان وهي بين ذراعيه وبين ذكرياتها لما سببته لها هذه المواقف من آلام ، ثم هي لم تعرفه إلا من ساعتين مضتا . من هو؟ ، وقد لا يتقابلان أبدا بعد ذلك ؟ لماذا لا تتصرف الآن وهي تحمل له بعض لحظات السعادة التي لن ينال من سحرها شيء؟

وتغلبت الغريزة وقررت أن ترحل ، وغضن الوجه الجميل ورأها "سام" تهم بالمغادرة وهي تغض الطرف وصاح :

- إيه ؟ انتظري . انتظري لحظة . ماذا حدث ؟ قالت "كلويه" :

- لا شيء ، ألم تقل لك إن الرقصة كانت رائعة ؟ فصاح ثانية دون أن يعير "كلويه" بالاً :

- لكني ، لكني لا أعرف حتى اسمها ؟ أريد أن أراك مرة أخرى.

وتابعت "هنه" سيرها دون أن تلتفت إليه . فناداها باسمها:

- "هنه" ! ودوى صوته في القاعة الخالية . ونادى مرة أخرى .

ولكنها اختفت ولم تكن "هنه" مندفعة وحزينة مثل اليوم . وكماجرى الأمير الفارس وراء سندريلا عند دقات الثانية عشرة هكذا فعل وهو متحير :

- يا إلهي ! ماذا جرى لها ؟ أهي صماء أم ماذا جرى ؟

وتوقف عند حافة الحلبة فقد اجتاحته برودة . واستدار نحو "كلويه" التي كانت تتبعه بخطى بطيئة وابتسمت له بلطف وهي تومئ برأسها "بالفعل . هي صماء" .

www.elromancia.com

الفصل الثاني

قالت "هنه" لصديقتها بعصبية :

- انت نسيت ان تخبري كل هؤلاء الناس اني نويت ان انزل إلى البلد اليوم .

وكانت السيارة محاصرة وسط زحمة السيارات .

- ولكن من اين جاء كل هؤلاء؟! ردت "كلويه" وهي تضحك :

- معظمهم يدفعون لي كي يشاهدوا جمالك . لكني قلت لهم . إن مزاجك معتل اليوم. فسالتها "هنه" وهي تبحث عن مكان لركن سيارتها :

- لماذا تقولين ذلك؟ ردت "كلويه" :

- انت تائهة - قالتها وهي تشير بيدها - تائهة منذ اسبوعين منذ قابلت هذا السيد ..السيد "فرجينا بيتسن" .

- انت واهمة ليس له ادنى تاثير. ساتاخر عن موعدي . هذا كل ما في الأمر.

- مادام الأمر كذلك فاسمعي ، لقد تكلم بيتر ثانية .

- وماذا يريد ؟

- نفس الموضوع . هو يريد ان يعرف متى سترى "شيللا ميريت" باقي عملك.

- لقد قلت له: إني سافعل متى اكون مستعدة لذلك وانا لست على ما يرام . لماذا لا يتركني لحالي ؟

- هو وكيلك. انت تدفعين له كي لا يتركك في حالك . اليس كذلك؟وطبعا ان تعرضي في قاعة شيللا ميريت" ليس بالشيء العادي الذي يرفض . اوقفت "هنه" سيارتها امام مكتب جاري شيروين والتفتت إلى صديقتها قائلة:

- كوني لطيفة واركني السيارة فانا لا استطيع ان اقوم بعمل شيئين في نفس الوقت ، "انا اريد هذا العمل ويجب الا اتاخر عن هذا الموعد.

وخرجت من السيارة وصفقت الباب وراءها وفجاة انحنت واستدارت إلى "كلويه" :

- اتعرفين ، إني احيانا احب ان يتركني الناس لشاني انا لست معتلة المزاج ولكني اصبحت كذلك بسببك . انت لا زلت تكررين اني لست في احسن حال . ثم اني نسيت تماما هذا الرجل الذي ارهقت بسيرته انني ! وصفقت "هنه" باب السيارة بقوة اكثر واندفعت تغوص في المبنى مسرعة ، وهي تكره ان تتاخر على موعد خاصة مع زبائن جدد ، وفي المصعد كانت تهز قدمها بعصبية. هي لم تعد تحتمل ان تفكر في تاثيرها على رجل الشاطئ "سام" ، كان جبنا منها ان تهرب منه هكذا . هي تلوم نفسها بل تكرهها لذلك ، قالت لها "كلويه" إنه كان غاضبا عندما انسحبت وغضب اكثر عندما رفضت "كلويه" ان تمده باي معلومة عنها . وتنهدت . إن المصعد لا يكاد يتحرك . لا . هي ليست متكدرة بسببه .إنها حتى لم تفكر فيه إلا قليلا جدا . قليلا وخاصة في الليل واحيانا في اوقات اخرى ايضا . لم تفتا تنظر إلى ساعتها ، فهي حقا تكره ان تتاخر عن ميعادها .

قد يتاخر مصورون ولا يلامون ، لانهم فنانون ولكن بالنسبة لمبتدئة فمن الأفضل الاحتراس خاصة إذا كانت"صماء" حاولت "هنه" ان تقدم نفسها في احسن صورة إلى الزبائن الجدد . كانت سريعة ومحترفة .

كانت ترتدي تاييرها المفضل اللبني اللون وصدرية من الحرير الأسود هي تعرف أنها تبدو به أنيقة للغاية . ولكن إن نجحت في ألا تبدو عصبية كان هذا أفضل. يجب أن تحاول . وتساءلت : هل من الصعب حقا أخذ صور جميلة من سيارة تجري ؟

وصلت أخيرا إلى ساحة . وركضت فقد كان المصعد الثاني على الجهة المقابلة . وبنظرة إلى اللوحة المضيئة تضايقت . فالمصعد معطل في الدور الخامس عشر . وسمعت صوت أقدام وراءها إنه قدمي "كلويه" وابتسمت ولكن ابتسامتها شابها الاستغراب إنها فعلا "كلويه" ولكن على بعد أمتار منها كان "سام" يتقدم . وتوقف حين لمحها واستعادت ذاكرته هذه الأمسية كلها.

الرقص . القبلة . فرار "هنه" حلم كثيرا أن يراها ثانية . مر عليه هذان الأسبوعان وكان عصبيا للغاية كان يجوب شوارع فرجينيا بيتش بحثا عنها. سأل أصدقاءه عنها وتلفن إلى كل "الاكسندر" في المقاطعة كلها فقد أسرته بنظراتها وعطر شعرها لقد سأل عنها حتى عند المصورين الفوتوغرافيين المحترفين مادام لا يعرف عنها سوى اسمها ومهنتها ولكن دون جدوى.

وتابع نشاطه بعد أن فقد الأمل قائلا لنفسه: إن ذكراها سيمحوها الزمن لكنه كان مخطئاً فقد تملكته وهو لا يملك أن يبعدها عن ذهنه . وهاقد حدثت المعجزة . عندما سأل صديقه القديم "جاري شروين" وهو يائس من العثور عليها إن كان يعرفها رتب له معها مقابلة ولم يكن هذا صعبا عليه، وحين رآها تساءل إن كان يحلم .

وتردد قليلا قبل أن يتقدم إليها وتقابلت العيون وتفرسا بعضهما البعض طويلا محلقين في ذكرى هذه الأمسية على شاطئ البحر متمنين إعادة ذاكرها . وكأنهما يعيشان نفس الأحلام . حلم أيام مضت وتسكن الآن قلبيهما . حلم ، بل جنون ، أيضاً ! حلم يتلاعب بمن تقابلوا بسرعة ولازالوا أغرابا عن بعضهم بعضا .

صباح الخير . قالها بعد أن ابتسمت . واستدارت إليه وأجابت:

صباح الخير .

أحس وكأنه يغرق أو أنه تلميذ أرهبه مدرسه وكرر :

- أنا .. صباح الخير .

وسألته وهي تحاول ألا تنفجر بالضحك : كيف حالك ؟

انتشلته إجاباتها من الغرق وتذكر أنها تكلمت في النادي ولكنه قرأ كثيرا عن الصمم حتى إنه شك فيها . أرهقتهما هذه اللحظة وفجأة رأيا الأضواء تشير إلى نزول المصعد . واستدار إليها مرغماً ، لقد اكتشف أخيرا أنه ما من أحد أصم حتى بعد كل قراءاته في المكتبة وفطن إلى غبائه بل فهم سبب هروبها . إنها قاومت خطرا علمتها الحياة ألا تثق بأحد . كما تعلم هو أيضا ألا يخاطر بمحو المسافة بين الضوضاء والسكون . لكل عالم مختلف يبعده عن الآخر.

وزيادة الأخطاء توسع الهوة بينهما. وبعض الناس يعتبرون السكوت تأخراً وغباء والاستقلال عدواناً وعدم استقرار . وأما الرقة والملاطفة فهي تنازل أوعطف أوكراهية وازدراء .

نظر إليها ثانية وأحس بأنها تخفي في قلبها شيئا ما ثقل عليها. واعترف لنفسه أنه لم ير في جمالها قط سواء أكانت صماء أم لا. التفتت إليه فجفل وكان هذه النظرة جاءته من بعيد ، كانت عيناها خضراوين لامعتين يشوبهما طيف رمادي .

وسرح "سام" في نشأته فهو رجل غير عادي نشأ في كونتيه ريفي بفرجينيا. هو لا يجيد اللغات الأجنبية . هو ...

ولم يستطع أن يسترسل في ذلك فقد وصل المصعد ورن جرساً خفيفا ودخل ولكن "هنه" لم تحرك ساكنا .

فقط ظلت تتابع اللوحة المضيئة. عبس "سام" . ألن تصعد ؟ أهي غاضبة ؟ ربما وجب أن يكلمها ؟ وفهم فجأة أنها لم تسمع وصول المصعد . ما العمل هل ينبهها بحركة من يده؟ قد يخجلها ذلك. ولكن بما أنه يعرف . ألا يبدو ذلك طبيعيا ؟ واحتار وداس على زر في المصعد وخرج ببطء دون أن تلاحظه . وانغلق الباب . وانتبهت هي إلى إشارة من يده ونطق ببطء : "كم هو بطيء" . وهزت رأسها مؤيدة فقال كالغبي .- الجو جميل . أليس كذلك ؟

- عفواً ؟

وعرف أنه يجب أن يكون في مواجهتها حتى تستطيع أن تقرأ

شفتيه . وكرر ملحوظته الرائعة . وأجابته :

- نعم أجمل طقس لشهر مايو .

لقد نطقت باربع كلمات ، أربع كلمات ! رائع ! هي تتكلم جيدا بطريقة رتيبة إلى حد ما . ليس في طريقة تعبيرها أي شيء منفر بل إنها ملائمة فلصوتها لكنة كانها أجنبية أو كانها مصابة بزكام.

وانفتح الباب مرة أخرى ودخلا معا تتبعهما "كلويه" التي لم تنبس ببنت شفة . وسأل "سام" ليوهمها بالمصادفة .

- هل .. هل أنت هنا للعمل ؟

لم تجبه . كانت مشغولة بتشغيل زر الطابق المطلوب . وتاملها واعجبه قوامها للغاية واقترب ليلفت انتباهها وكرر السؤال .

- نعم أنا مصورة فوتوغرافية .

- أعلم ذلك . وتعيشين في "ريتشموند" مثلي . أتأخذين الغداء معي؟

لم تفهم إلا كلمات منفصلة ، فقد تكلم بسرعة ثم إن شاربه كان عائقا.

- من يدري ؟ إنه عالم صغير ، قد نتقابل ثانية .

كانت "هنه" تتعذب حتى ألمتها معدتها ، هي تعلم أنها جانبت الجواب الصحيح ، هي تفسد كل شيء، أي تاثير تترك فيه!

لماذا كل شيء معقد ومكدر !. "كم أنا غبية!. ما الذي يدفع شخصا جميلا مثله إلى أن يرضى بفتاة صماء مثلي كي يخرج معها مع انه يستطيع أن يحصل على ما يريد ؟ هكذا تفكرت "هنه" وانتابها شعور بالغضب وخيبة أمل ، إحساس تعرفه جيدا وسيلازمها دوما . هي لا تصلح إلا للرقص في "فيرجينيا" بيتش ليس إلا . أما بالنسبة للباقي...

- أتقبلين الغداء معي ؟ قالها هذه المرة وهو يفسر كل حرف .

وتفرسته بينما انفتح باب المصعد . وتركت استياءها وحزنها على السلم . وكان القدر يمد لها يده . أومأت برأسها موافقة ، وارتجفت ساقاها عندما ابتسم ، وخرجا معا من المصعد فابتدرته قائلة :

- اقبل اعتذاري عن خروجي من النادي ...

- لا عليك . أنا متفهم .

أشارت بإصبعها إلى اسم شركة "جاري شروين" فاردف "سام" :

- يا لها من مصادفة! هل تعرفين جاري ؟ هل تعملين معه ؟

- نعم ، أحيانا كثيرة . وصاحت موظفة الاستقبال :

- صباح الخير . يا سيد ماكينون إني سعيدة أن أراك .

- شكرا ، هل يعاملك جاري معاملة حسنة ؟

- بالتاكيد . تفضل بالدخول فإن السيد شيروين ينتظرك .

حيا "سام" "هنه" واتجه إلى المكتب ، وقالت موظفة الاستقبال :

- ادخلي يا "هنه" .

السيد "شيروين" ينتظرك .

وفكر "سام" بأن "جاري" عبقري . كان المطلوب أن يتقابلا بالمصادفة ولكن "جاري" كان له تخطيط أحسن وحيته "هنه":

- صباح الخير ، "جاري" .

- "هنه" أخيرا جئت ! أوه ! لقد تقابلت مع "سام" . "سام" إني مسرور للقائك ثانية .

جلست "هنه" على نفس كرسيها المعتاد بينما تصافح الرجلان. جلست أمام مكتب "جاري" وظهرها إلى الشرفة الزجاجية بعيدا عن مضايقة الشمس ، وبعد الترحيب العادي جلس "جاري" وراء مكتبه وبدأ يعبر بالكلمات والإشارة وغار "سام" . وقال "جاري" .

- لا أعلم . إن كنتما قد تعارفتما؟ "سام ماكينون" و "هنه الكسندر" .

تبادل الاثنان الابتسام وحيا بعضهما البعض بأدب ، وأضاف "جاري" :

- "هنه" . إني في غاية السرور أنك استطعت الحضور لقد استعجلتك . أنت تعرفين أني لا أؤجل أفكاري .

إن "سام" الحاضر معنا يريد أن نجهز له كتالوج دعاية عن مجموعته "ناسكار" ، إنها عن سيارات هذا العام والعام القادم المشتركة في السباق . إنها فرصة رائعة لك .

أهناك شيء ؟ قالت "هنه" لسام" .

- كنت أعتقد ، اعتقدت أنك مالك لنادي الفلاينز ؟ أجابها وقد بدا عليه القلق .

- إني أملك أيضاً سيارات سباق .

هو لم يفكر في "هنه" حين فكر في كتالوج الدعاية ولكن هل يتفهم "جاري" ما يفكر فيه "سام" ؟ ... وأضاف "جاري" .

- إن مجموعة "سام" ستحصل على كاس و"ينستون" في العام القادم سباق ناجح ، عائد كبير ، مانشيتات كبيرة في الجرائد ، وأنت يا "هنه" هي من تبحث عنها لتصوير هذه الحملة ، قال "سام" مهموما:

- "جاري" ! هل ... هل تريد أن تكلف "هنه" بهذه الصور؟

- نعم . فكرة صائبة ! أليس كذلك ؟ لكن ... هل من مشكلة ؟

"يا إلهي ! بالتأكيد توجد مشكلة . هو لم يفكر أبداً في "هنه" لمثل هذا العمل . هو لا يريد عملا في ستوديو وإذ تفكر "جاري" أن ..." أجاب "سام" وهو ينتقي كل لفظ :

- يعني .. كنا قد اتفقنا أن نأخذ صوراً على الطبيعة أثناء السباق . لقد حصلنا على المركز الثاني في دايتونا . وقد أبلى أخي تريفور بلاء حسنا في السباقات الكبيرة . حان الوقت إذن أن يعرفنا الناس . ذلك سيهم متابعينا كثيرا ... وسألها "جاري" :

- ولكن أيضايقك التصوير على أرض السباق يا "هنه" ؟ سباق وجراجات وأماكن بها شحم ورائحة وقود ؟ أيضايقك؟

- لا . ما من مشكلة في هذا وزينت بابتسامة صغيرة إجابتها الصريحة .

فهمت "هنه" أن "سام" لا يستسيغ فكرة تشغيل امرأة مصورة في هذا المجال الخاص بالرجال .

ولكنها قامت بهذا العمل من قبل . إذن ...

وتعجب "سام": "ما من مشكلة ؟ ونظر إليها "سام" كمن فقدت عقلها ومهما كان مغرما ولكنه مع ذلك رجل أعمال يريد صورا من كل زوايا أرض السباق أثناء الجري ، ولا يريد صورا منمقة أو مسافية من المنصة . ثم ... وأراد أن يصرخ : إنها صماء! إن السباقات خطرة حتى بالنسبة للذين يسمعون فكيف يكون الحل إذا أرسلنا ... قد تقتل!! واستطرد "سام" :

- لا أعرف يا "جاري" ، ولكن أعتقد أن القرار صائب بالنسبة لـ

"هنه" ؟ وسألت "هنه" :

- ماذا قلت ؟ فاتتني الجملة الأخيرة . أجاب جاري :

- يتساءل "سام" إن كنت اخترامو فقا لهذا العمل .

- لاني .. لاني امرأة ؟ أجاب "سام" بعد صمت طويل :

- هذا أحد الأسباب .

- عفوا وما الأسباب الأخرى ؟

- حسنا . اسمعي . إن السباقات خطرة .

- حسنا اسمعي . إن السباقات خطرة للغاية حتى في أحسن الظروف . إنها رياضة عنيفة وخشنة . واعتقد أن صممك سيشكل مشكلة .. مشكلة كبيرة .

- لماذا ؟

- لماذا ؟ لأنك لن تسمعي شيئا . وإذا ...

- وماذا علي أن أسمع كي أصور سباق سيارات ؟

- "هنه" إني لا أريد أن أجرحك ولكن هذا خطر . أتفهمين ؟ وكاننا نعصب عينيك قبل أن نلقيك على حافة حفرة . وفجاة انفجر "جاري" ضاحكا . فساله "سام" : عفوا ؟

- أتتذكر صور بوز إليوت التي أعجبتك للغاية ؟ منذ حوالي عامين ؟ إنها من إنتاج "هنه" !

- أوه ! لا !

وأحس "سام" بانه قد شحب لونه .نعم هو يتذكر هذه الصور ! صور بوز إليوت وصورة متسلق الالب المعلق فوق هاوية . وأصابه الغثيان حين تذكر رد فعل إليوت وفكيه المضمومين دهشة حين رأى الصور وعشرات من التفاصيل فلا يتصور أن تجلس بجانبه من التقطتها .

مجرد تخيل "هنه" وهي متدلية بحبل بين صخرة راسية وهوة سحيقة يدفعه للصراخ :

- أنت ! أنت التقطت هذه الصور ؟ ، وتسلقت الجبال لذلك ؟

- "نعم" ووجه "سام" احتجاجه لـ"جاري" :

- وتركتها أنت تفعل ذلك !!

وارتجف "جاري" فقد أزعجته لهجة سام المرعبة :

- انا ... هي التقطتها قبل أن اقابلها . وقد عرفني إليها أحد معارفي .. انا ... وقالت "هنه" ببطء :

- لقد اعجب السيد "إليوت" بعملي . ولا ارى انك لن تكون راضيا يا سيد ماكينون.

اسمعي انا لا اشك في موهبتك ...

فتح باب المكتب . وتلفتوا ، إنها "كلويه" مرت "كلويه" بيدها على شعرها الاشقر المجعد الغزير . وقالت :

عفوا، تاخرت " كنت اقوم بمكالمة تليفونية ... ولكن .. اعتقد ... الست انت الشخص الذي قابلناه في النادي كانت "هنه" تستعين احيانا بـ"كلويه" كوسيط ،وقالت :

- انت تتذكرين السيد ماكينون "اليس كذلك" . شيء غريب حقا. إنه الزبون الجديد الذي اراد السيد "جاري" أن يقدمه لي .

وهو يعتقد اني لن اقوم بمهمته . وحيته "كلويه" "سلام" . واردفت "هنه" موجهة الكلام لـ "سام" وإذا لم تكن موهبتي أو كوني امراة عائقا، فلك أن تطمئن أن "كلويه" ليست فقط صديقتي او مساعدتي ولكنها ايضا وسيط لي .

- هذا جميل . ولكن ..

- ام إنك متضايق من طريقتي في الكلام وتعتقد اني لن اجيد التفاهم مع الناس هكذا ؟

- " لا ، إني ... " ردت "هنه" بغيظ :

- حسنا ،إليك ما سافعله يا سيد ماكينون سالتقط مجموعة الصور التي تريدها مجانا . ولن اتكلم في وجودك مادام هذا يكدرك.

وستتولى "كلويه" ذلك ، وإذا لم اسلمك صورا جميلة ، تستطيع .. انت .. اعطيك آلة تصويري "النيكون" .

اراد "سام" أن يضحك . باله من اقتراح كيف يرفض ؟ مع انه كان يفضل أن تراهن بأن تقدم له نفسها أو حتى قبلة . كانت "هنه" امامه تغالب دموعها دون أن ترمش بجفن . واضافت :

- ثم إنه من المتعذر علي يا سيد"ماكينون" أن افهمك .. فمن الصعب فهم ما تقول بشفة واحدة !

- ماذا ؟

- انا اقرا بسهولة على شفاه الأشخاص العاديين ، الذين لهم شفتان أكثر ممن له شارب وكان عنده شفة واحدة . أدار "سام" راسه حتى لا ترى ابتسامته البهيجة ونهض وراح يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً ، ثم قال :

- أولا أريد أن أوضح بعض النقاط . انت تتكلمين جيدا . ولا أجد أدنى صعوبة في فهمك كما لا أجد في صوتك أية تكبر أو غرابة . موافق على اقتراحك باخذ صور مجاناً وساخذ آلة تصويرك المفضلة إن اخفقت فاحسني لكن يبقى شرط .

- ما هو ؟

- ستناديني بـ"سام" ! قالت بعد لحظة سكون ؛

- حسنا . اتفقنا ، موافقة يا سيد "ماكينون" سانناديك بـ"سام" بعد أن التقط الصور

تنفس "سام" الصعداء وابتعد عن منتصف الغرفة ، لقد هزم . ابداً لن يستطيع أن يداوي كل هذه الحماقات التي قالها .

فقد راها تدنو منه ثم تتباعد . وهو اضاف الشتم إلى الغباوة ، وظل صامتا باقي المقابلة .

فهم "سام" أن المعرفة التي عرفت "هنه"بـ"جاري" هي اخته الصغرى وهي الأخرى صماء وفسر ذلك سهولة تفاهم "جاري" مع "هنه" بلا إشارة . أما "هنه" فقد بدت متعبة تعيسة وحيدة . لم يكن "سام" فارسها المنتظر وهي التي ظلت اسبوعين تفكر فيه وتذكي ذكر هذه الأمسية ، كان يؤلمها أن تكتشف أنه مثل أحد زملائها الأغبياء في المدرسة الذي كان يخلط بين المعوق وعديم الاهلية واحست بالارتياح عندما استاذن للانصراف .

الفصل الثالث

كان "سام" مغتما حينما غادر مكتب السيد "شيروين" ولكنه سرعان ما كتم أحاسيسه ورجح العقل . لم يفقد كل شيء بعد ، هو أخطأ خطأ جسيما ، نعم ولكن عليه أن يصلحه لقد عرف الإخفاق مرات في حياته وكم من مرة أيقظته ذكرى ذلك الحادث القديم منذ سنين وكان يعتقد حتى هذه اللحظة أنه لا يقهر فهو يملك كل ما يتمناه : الجاه ، السلطة، المكانة ...

والآن عرف الهزيمة وفهم كم أخطأ في حق "هنه" . فهو يتمناها ، لا بل أكثر . إن بها شيئا يحتاجه هو فعلا وإن أخفق في الحصول عليه فلن يسامح نفسه طوال حياته .

واستدار على أعقابه ليلحق بالمصعد فلم يفت الوقت لتصحيح الموقف ووصل المصعد بعد أن أغاظه بطؤه إلى الدور الرابع عشر . وقفز من الأبواب . وهي تفتح واندفع إلى موظفة الاستقبال وهو يسأل :

- هل رحلت "هنه" ؟

- لابد أنك قابلتها . إنها توأ ...

ولم ينتظر "سام" نهاية الجملة فقد استدار ولم ينتظر المصعد وإنما اتخذ الدرج . وقفز على الدرج وهو يدعو في سره حتى انطلق إلى الساحة ، ولم يرها . طيران أخر على الدرج والدهاليز . ليست هنا ولا هنا وفي الشارع لمح فجاة شعر "كلويه" الكث المجعد ، وطار إليهما وهو ينادي "هنه" ، ليس من الضروري .

بالتاكيد أن نذكر أن "هنه" لم تسمعه ولكن "كلويه" التفتت إليه ونبهت رفيقتها . وتالمت "هنه" حين رأته وواصلت المسير ، فصاح "سام" وهو يلهث من التعب :

- "هنه" أرجوك يجب أن أكلمك . إني محتاج ... يا إلهي !

وأغلق عينيه كي يستعيد سيطرته على أعصابه ، فالذي سيقوله لا يحتمل أدنى غلطة لأنه مهم للغاية ، ونظر إليها في عينيها وفهم أنه محق . عليه أن يناضل . والتفت إلى "كلويه" وقرر أن يضحي بكبريائه، وتوسل ضاما كفيه :

- إني في حاجة إلى مساعدتك . أريد أن أتاكد أنها تفهمني جدا !

ونظرا لعشق "كلويه" لقصص الغرام فقد ابتسمت ابتسامة غريبة ووافقت .

كانت "هنه" تنتظر . وأمسك "سام" بساعدها برفق وحزم . وسرت في جسدها قوته . وقال "سام" بعنف :

- "هنه" . إني في غاية الأسف . لقد تصرفت بحمق . صدقيني كان هذا أخر شيء أبتغيه في الدنيا .

عن حكاية "بوز إليوت" فلم يكن ليعنيني لو أن الد أعدائي تعلق بجانبه فوق هاوية . وقد أجدد ذلك مبهما .

ولكن أنت ! أن أتخيلك في أعلى . إن الفكرة تقتلني خوفا عليك وظللت أفكر لو أنها ماتت وهي تأخذ هذه الصور الملعونة ؟ ليس هذا لأنك صماء ولكن لأنك ممكن أن تموتي . ممكن . أليس كذلك ؟

وانتظر أن تترجم لها "كلويه" بالإ شارات ، وهزت "هنه" رأسها مؤيدة . فاستطرد مبتسما :

- حسنا ، إذن فهمت أن كل همي - كل همي في مسالتنا هو تامين

سلامتك ، حياتك ؟

قد يحدث الكثير . أتعلمين اني لا اسمح لامي ان تاتي من مسافة طويلة إن لم تكن برفقة أحد .

هزت "هنه" راسها بعدم الموافقة .

- عفوا ؟

- إن النساء اللاتي يسمعن لا يحضرن سباقاً ؟

نعم

- ما من سيدة تقترب من السيارة كي تاخذ صورا وعرف إلى اين هي تريد أن تنتهي وفكر في أن يكذب .

- قل الحقيقة .

- نعم - إذن - ، ساقوم بهذا العمل .

ولكن . بالنسبة لك الأمر يختلف ، انت حتى لن تستطيعي سماع السيارات ، وفكرت "هنه" واستدارت "هنه" وبدات تبتعد "مهما كان لطيفا او جميلا فهو لن يتخلى عن آرائه ، هو لا ولن يستمع"

- "هنه" ، انتظري ! تعقلي . ساكون مسؤولا .. و ... إذا حدث لك مكروه . أجابته :

- إذا مارست النساء هذا العمل إذن فانا أيضا أستطيع القيام به .

نهض ونظر إليها وكانه يراها للمرة الأولى وكمن انهكه الجدال واحس بتعب عام . هو يريد أن يحميها وهي لن تدعه يفعل ذلك . من الواضح انها مصممة .. إذن سيرضخ . سيرضخ لكل شيء كي يحتفظ بها . وقال :

- "هنه" ، إني متحير . إخال نفسي وكاني اقود في الليل بدون كشافات . أعرف أن الجهل عذر سخيف ولكن ذلك هو ما تبقى لي ، انا لا اعرف كيف اتكلم معك ، ولكني أريد أن اتعلم ، أريد أن اتعرف عليك ، علميني . علميني أن اقول : " اعذريني" .

كانت "هنه" تعتقد أن "سام" لا يعتذر إلا نادراً . هو لم يحاول أن يحرجها ولكن أن يحميها . وقررت في التو . ستعلمه وربما أصبحت كل شيء بالنسبة له . وستبدأ الآن درسها الأول .

مدت بنصر اليد اليمنى ووضعته على صدرها ثم أغلقت قبضتها

وهي تلف يدها حول قلبها وقالت :

- هكذا تقول : "متاسف" واستانفت بإشارة أخرى : وهذا هو اسمي.

ولاحت ابتسامة خفيفة على وجه "سام" وعاد رجل "فيرجينيا بيتش" اللطيف الظريف السعيد برؤياها.

ونجح بيده هو أن يقول : "هنه" انا متاسف ، ثم تظاهر بانه يبتلع شيئا ودعاها للغداء . فهزت راسها بصبر وقالت وهي تتظاهر بالإمساك بملعقة غير مرئية : " وهذه إشارة الطعام وقالت وهي تقرب بسرعة السبابة والوسطى من الإبهام : وهذه : لا " .

- لا ؟ لماذا ؟

- إني مشغولة وقت الغداء ، لم يكن هذا صحيحا ولكنها احست انها يجب أن ترفض وعبس "سام" وسال :

- إذن متى أستطيع أن أقابلك ؟ ساقضي عطلة نهاية الاسبوع في "روچمونت" . وقاطعته "كلويه" :

- ماذا قلت ؟ اين تذهب ؟ أجاب "سام" قبل أن يلتفت إلى "هنه" :

- إلى روچمونت" . منطقة في "كارولين الشمالية . في إمكانكما أن تاتيا معي في الاسبوع القادم حيث تنتج سيارة جديدة .

سيعجبكما ذلك وساريكما سباقا تدريبيا. ما رايكما ؟

- رائع . ولكني أستطيع أن أذهب إلى هناك بطريقتي فانا اجيد القيادة كما تعرف .

- بالتاكيد .. إذا اردت ذلك فليس هناك مشكلة ولكن بما اننا سنقضي الليل فانا ..

- نقضي الليل ؟

- اقصد أن السفر ساعتين بالسيارة وبما انه هناك الكثير لرؤيته و... عائلتي تملك ارضا في ضواحيها .

والغرف كثيرة و .. ستصحبنا "كلويه" ... صاحت "كلويه" :

- هائل ! انا اقدم نفسي ما دامت "هنه" قد نسيت ذلك انا "كلويه ويلليز" .

- "كلويه ويلليز" اهذا اسمك؟ أجابت وقد فاجاتها دهشة "سام".

- نعم هي معتادة مثل رد الفعل هذا . وأضاف "سام" :

- " رائع ، ما رأيكما ، سامر الثلاثاء لأصطحبكما وأعيدكما الخميس أو الجمعة إذا فضلتما إطالة المدة . قالت "هنه" :

- لكنك تكلمني وكأنني قمت بعملي ، أنا لم أجتز أول امتحان .

- ستقومين بها .

- لأنك تشفق علي ؟

- اسمعي . بعد كل هذا ، من الأجدر أن أشفق على نفسي .

-قطعا : لا .

- "بالفعل ساجن من قلقي على المخاطر التي ستلاقينها . ولكنك ستاخذين صورا جميلة وهذا ما انشد وهذا ما انتظره منك " . أجابت "هنه" وهي تلقي إليه بنظرة مثيرة :

- إني أعرف تماما هذا الشيء الآخر الذي تريده .

- أشك أنك تعرفينه . ولكن بما أننا متفقان فقولي لي ما هو ؟

لم ترد "هنه" في الحال ولكنها تركته يسرح في إجابة مغرية .

- إنه آلة التصوير المفضلة لي .

تفرس فيها "سام" وهو صامت ثم قال :

- أنت الملاك الصغير اللطيف الذي تخيلته .

- إنك تدعي أنك تعرفني .

أجاب بالإيجاب . هي محقة ولكنها مع ذلك هي نفسها الفتاة ذات القوام الرائع التي قبلها في النادي . نفس العيون ، نفس الفم اللذيذ . عيون وفم وقوام سيدة شابة ملكت فؤاده وهو يحبها لكنها أيضا مجهولة ، لها ماض خاص بها وأصدقاء وذكريات ومئات الأسرار التي يجهلها . ومع ذلك فهي التي حلم بها، قالت "كلويه" :

ما دمتما متفقين فكلمني عن أخيك ، قلت : إنه سباق سيارات ؟ " أهو متزوج ؟ احك لي .

الفصل الرابع

قال . تريفور لأخيه بينما هما يعبران ردهة المطار الصغير بـ"ديرهام" : أنت مجنون تماما .

وكان شمس كارولين حارقة بالداخل والخارج حتى ظل محتفظا بنظاراته الشمسية ، كان رأسه يؤلمه وسيداويه وكما أن بعض الشراب وطيفا طويلا رشيقا يكفيان الاحتفال بالدرجة الثانية التي حصلا عليها بعد جهد . ولكن "سام" أفسد ذلك .

قال "سام" وهو يسرع الخطى : صحيح .

- لماذا لا تأخذ طائرة صباح غد ؟

- لا .

كان "تريفور" يعتقد أن للرجل أن يفعل ما يحلو له يوم السبت . يجري أو يصطاد مثلا . كان يعيش لهذا اليوم وأضاف :

- ولم تستطع أن تطلب من فرانك أو چيري اصطحابك إلى المطار ؟ ألم تجد غيري ، أجاب "سام" وهو يرفع عينيه للسماء :

تماما : استغرق الطريق من روچمونت" إلى "ديرهام" على الأقل

www.elromancia.com

نصف ساعة ولم يتسع الوقت لتريفور" كي ياخذ حماما إذا لم يستعجل الوصول لها لا يجد لنفسه فتاة واحدة :

- وهل تستحق نانا كل هذه التعقيدات ؟

- نعم يا صديقتي . وتمتم بتذمر بينما يشتري "سام" تذكرته واخوه يتكئ بجانبه :

- حسنا ، ولكني لا اجد فرقا لو رحلنا غدا ؟!

وبالرغم من الم راسه فإن "تريفور" لم يسعه إلا الابتسام وهو يرى اخاه الاكبر يدق برفق على حافة شباك التذاكر باصابعه كمن فرغ صبره ، ولاحظ اخوه انه شارد منذ وصوله إلى روچمونت وعليه ان يدفعه برفق كي تنتبه إليه ، قال: "تريفور" لـ"سام":

- اتعرف ؟ يحلو للفتيات ان يقلق بشانهن الرجال ..

- احقا ؟ ولم يكن بنظرة "سام" لاخيه اية تعبير .

- ياه ! لا تثق بهن ولا تحلم كثيرا فإنهن يطرن بسرعة .

تسلم "سام" تذكرته وشكر الموظفة وانطلق وهو يعلم ان اخاه في إثره . كان يفكر :

- لا . إنها مختلفة عنهن وانا لا احلم إلا بوجودي بالقرب منها .

زفر "تريفرر" زفرة ، لن ينجح في إخراج اخيه من هذه الحالة وكانه اليوم رفيق ماكر لاخيه في "فرچينيا".

ولكن الأمر لا يحتاج إلى فراسة . من الواضح ان اخاه غارق في قصة حب، قال له بخبث :

- اتريد ان اقتلك قبل او بعد ان تحطم لك قلبك ؟

- صه ! إنها مختلفة .

- نعم ارى ذلك ، ولكن اهي على علم بانك تملك نصف اسهم شركات سيارات ريشمونت ودروفوك وانك تقوم بإنتاج سيارات سباق تبلغ قيمتها ملايين الجنيهات ؟ وهل تعرف انك على راس مجلس إدارة ثلاثة بنوك .

ومدرسة خاصة .

- لا . يجب الا تعلم .

- إذن .. هل تعتقد ان ثروتك ستشكل عائقا ؟

- ماذا تريدني ان اعرف ، انا لم افكر في ذلك .

- عليك إذن ان تعلمها بذلك وان تهدا وتتريث . خذ حذرك . انا لم ارك في مثل هذه الحالة قط .

- "لا جديد في ذلك ، لقد فكرت وفكرت . لن تكون هناك صعوبات . وتمتم "تريفور":

- سمعت هذا من قبل .. مارتينڤال!

واسهم "سام" "ولم يجب . لم يكن هذا ضروريا . كلا هما يعرف ما يتكلف الإنسان كي يبدو شجاعا ومقداماً .

صاحت "كلويه" وهي تركل ساق "هنه" قائلة : انت مجنونة ! اتعرفين ذلك؟

كانت "هنه" ممددة تحت سيارتها ، و"كلويه" تعلم انها لم تفهم منها شيئا مثلها ولكن لا يهم . قالت "هنه" :

- لحظة يا "كلويه" يوجد شيء ليس بالكتاب ، هل هذا مهم ؟ وردت "كلويه" محتدة :

- كيف لي ان اعرف ؟

- كان يجب ان اسال ابي سيسره ذلك ، فانا الابن الذي لم ينجبه . ونهضت ووجهها ملطخ ، مشحم .

- إني حقا في عجلة من نفسي ، لن استطيع ان الم بكل ما يلزم في الميكانيكا قبل يوم الثلاثاء ، سيعتقد اني غبية - سيتفكر فقط انك امراة ، قالت "كلويه" مقطبة : إن الرجال لا يميلون إلى المراة التي تعرف الكثير عن السيارات وبما انها الات مبهمة فهم يتكلمون معا عن كل شيء فيها المكابس والفرامل واخرى دون منافسة من احد ما دامواهم وحدهم الضالعون بها . " ضحكت "هنه" وهي تقول :

- اعلمي اني لن اثير احداً ، انا لم افهم شيئا من هذا الكتيب ! ثم إن الذي كتبه ، رجل ...

- لو انك توقفت عند الالفاظ الفنية فهو يشبه كتاب الاكلات اليس كذلك ؟ ولكني "اتساءل اين امي ، من المفروض ان تكون وصلت منذ برهة !

لم تكن علاقة "كلويه" بامها حميمة ، فقد لاحظت "هنه" منذ وصولها

من تسع سنوات أن "كلويه" تاخذ دائما المبادرة .

ولأن "كلويه" نشأت مستقلة فقد تعودت أن تفكر وتتصرف بطريقتها وهي تحتسب لنفسها شرفا الا تشبه امها التي تصفها بعدم النضوج والتذبذب .ولا تراها "هنه" مخطئة تماما في حكمها غير أنها هي نفسها غير متوازنة أحياناً . عندما تتقابل الأم مع ابنتها فإنهما تتعاركان في كل شيء وأي شيء.الأم تتطلع للتطور والابنة متحفظة ولكن أخيرا نشأت بينهما شركة خالية من كل عاطفة . الأم تتكفل بالمأكل والمعيشة والابنة تدفع لها دائما الكفالة كي تخرجها من القسم في كل مرة يقبض عليها في إحدى المظاهرات .. وسألتها "هنه" .

- وعن أي شيء تتظاهر أمك هذا الأسبوع ؟

- من أجل مدفن للكلاب .

- ماذا ؟

- تريد الدولة أن تشق طريقا في مكانه . فقيدت أمي ، الطبيبة البيطرية نفسها هي واثنا عشر متطوعا إلى نصب تذكاري لكلب يدعى جاس ! سوف .. ولكن .. هيه انظري يا "هنه" من القادم !

وتمهلت سيارة سباق بيضاء عند موقف على بعد خطوات ممن تدعى "هنه" فوجلت . وكانت عصبية ومتسخة للغاية . وتوقف "سام" وتحولت ابتسامته إلى تقطيب وتساءل:

- "ماذا يجري؟ "أهناك مشكلة في الموتور ؟ "ولاحظت "هنه" وهو يتقدم أن شيئا تغير فيه .

- " هل فاجاتك؟ " صاحت "هنه":

- " نعم .. مش .. شاربك! أنت حلقته " وسألها واثقا :

- ما رأيك ؟

-اعتقد أن ذلك يعجبني .

إن هذا أعجبها جدا وهو لم يفطن إلى أنه زاد جمالا بدون شاربه . وتأثرت جدا لأنه فعل ذلك من أجلها كي تقرأ شفتيه وحرك يديه وأصابعه في الهواء وهو يقول :

- انظري هذا ! "كيف حالك؟" . وغضت البصر وعضت "هنه" شفتها السفلى وشكرته بالإشارة والصوت وتاملها :

- ساعديني . كيف اقول : أنت متسخة للغاية هذا الصباح ؟

وانفجرت ضاحكة وزادت شحماً على خديها . فامسك بمعصمها وهو يحتج :"ماذا تفعلين" ؟

- إني .. إني أدرس الميكانيكا .

- ولكن لماذا ؟ ردت "كلويه" بدلا منها :

- "كي لا تصفها بالحمق " . وأضافت "هنه" :

- من الضروري أن أتعرف على الشيء الذي أصوره وأعترف أني أجهل الكثير عن السيارات وسيارات السباق .

- حسنا . ساعقد معك اتفاقا . أنت تعلميني التفاهم بالإشارات وأنا أعلمك أكثر مما تبغين معرفته عن السباقات .

مدت له يدها وهي تقول : " اتفقنا " . ومد سام" يده ليصافحها ولكنه تراجع فقد كانت مشحمة وانفجرا ضاحكين وتظاهرا بالعودة إلى المنزل . صاحت "كلويه":

- " إيه . معذرة . وانت .. أتبغين مساعدة يا "هنه" ؟ ومرت لحظة سكون وردت "هنه"

- شكرا . هذا لطف منك .ابتسمت برفق وهي تشير بالنفي برأسها استطردت "كلويه"

- في الواقع يا "هنه" : "بيتر" اتصل ويريد أن يعرف ماذا يقول لـ"سيللاميريت" .

وأغاظت هذه الملحوظة "هنه" . لماذا لا يتركونها لشأنها . وهي تعرف أن هذه هي الفرصة التي كانت تنتظرها وتحلم بها . وأنها إن تركتها تفلت منها فلن تستطيع أبدا أن تقدم نفسها ، هي تعرف ذلك ولكن ..

- قولي له : اني اقرر بعد .

يقع منزل "هنه" في أحد أركان الحي التجاري في"ريتشموند" . وقد توصل إليه"سام" بسهولة بعد أن قرأ على اللافتة الأنيقة :"تصوير "الكسندر" . وكان المنزل مثل غيره ما عدا أن به معملا . ولم يفكر "سام" أبدا في الأدوات التي يمكن أن يحتاجها أصم يعيش وحده . لذا فإن بساطة منزلها دفعته للتفكير .

كان يعلم أن جرس الباب والتليفون متصلان بإشارة ضوئية

تخطرها بان احداً ينادي وانها تفهم ما يقوله المتحدث بالتليفون عن طريق الة كاتبة خاصة بالصم ، ولكن توجد بالتاكيد بعض المهارات التي تعلمتها وابتكرتها "هنه" وتستخدمها كي تعيش مثل الآخرين واحزنه جهله بكل ذلك وسالته "هنه" وهي في المطبخ إن كان يريد قهوة، وراته يتطلع إلى صورها المعلقة على الجدار . واستدار واشار بيده "نعم ، شكرا" ، فقالت له :

- ستصبح يوما ما معلماً .

بالفعل هو يود أن يشير بـ" من فضلك قبليني" أو اعتقد انه حان الوقت أن ترتمي في احضاني إذن :"نعم ، شكرا " وسالها :

- من "بيتر"؟

- وكيلي .

- آه . كان يرغب في سؤالها عن علاقتها بـ"بيتر" ، هل هي علاقة عمل فقط أو .. لكنه أجل ذلك وابتسمت له من المطبخ ثم انضمت له وسالها :

- هل تلزم إشارة حينما تريدين الكلام ، أو لا؟ يجب أن اتعرف واجيد ما في الكتاب الذي اشتريته وبسرعة .

- وعد مني!

ولم تفارقها نظراته وظل يتابعها لرقة وخفة حركتها .. وخالها راقصة باليه ففيها قوتها وقوامها وخفتها .

- لماذا جئت ؟ هل غيرت رايك عن يوم الثلاثاء ؟

ظل هذا السؤال يلح على شفتيها منذ أن جاء .. وأرادت أن تخفي اضطرابها ولكنها كان يجب أن تنظر في عينيه كي تفهم .

- أبداً . اردت أن أراك ثانية .

سرت في جسمها حرارة ودق قلبها أن وجنتيها احمرتا ، واجتهدت أن تعلمه ما قاله بالإشارة كي تصرف نظره عن خجلها .

- هذه إشارة لـ"اناكنت اريد" ، انا اريد ، انت تريد ، انا كنت اريد ، انت كذ ...

وبدون أن يرفع عينيه عنها ، حرك اصابعه بهدوء : "انا اريدك" قالت في نفسها :"إنه يتعلم بسرعة" . وتتابعت دقات قلبها مسرعة .

تسمرت مكانها ، لا تقوى على الحركة ، وكانت تماما تحت سيطرته . واخذ خديها في كفيه المفتوحتين ، وركنت هي راسها فيهما وكانها تخبئه فيهما واحست بشفتيه تلامس شفتيها برقة . أرادت أن تغرق فيهما . وامطر وجهها بالقبلات قبل أن يلامس فمها قبل أن يدخل لسانه إليه وقبل أن يلهبها . وفجاة ابتعد عنها وبدت منه تنهيدة طويلة عميقة . ونظر كل واحد منهما للآخر بدهشة مشوبة بالخوف وصعدا الدرج وهما يتبادلان القبل ويتعانقان . أحست وكانها تغرق وتغوص في مكان مظلم ومتحرك،كانت تريد أن تهبه نفسها واحست بحرارة والم وشعرت أنها ضعيفة ضائعة وانها تعرض نفسها . وتعلقت به واخذها في احضانه وغاص وجهه في رقبتها . وارتعشت وواصلا الصعود . يقعان وينهضان ثم يسقطان ، وراته يتحول من الرقة إلى الرغبة المحمومة .

لم تكن تميز إن كان ما تفعله صوابا أم خطا ، أهو عقل أم جنون ، صح أم سخف ولكنها تعرف أن قلبها يريد ذلك وجسدها أيضا .

ووصلا إلى حجرة نومها ، كان سعيدا ، قضيا الليل .

كان ذلك مساء أحد أيام سبت مايو ليلة هادئة وكسلة وقد توقفت الطيور عن التغريد مع انصرام النهار . في الخارج يسمع صوت سيارة تمر . ضوء قنديل حجرة النوم ينفذ في ظلامها وبدت الحياة جميلة . كان "سام" سعيدا ، وتنهدت وسالته "هنه" :

- هل قلت شيئا ؟

- كم أنت جميلة !

- لا ، حلوة لكن لست جميلة ، قالت وهي تحرف مقالا كانت تقرؤه :

- لست ممن تخفق لهن القلوب .

- على العموم لقد مسست قلبي أنا .

- " نعم ولكنك استثناء " . رد ضاحكا :

- لا . فإنك لا تستطيعين سماع الرؤوس وهي تدور عندما تمرين بها!

مالت براسها على صدره وركنت خدها ، وسمعت قلبه يخفق . واغلق "سام" عينيه واستسلم لخدر الليل ، كان يفكر في حياته وفي

"هنه" وفي الحياة عموما ، وغنى طير . وعرف "سام" وهو آسف أن "هنه" لم تسمعه . ورفعت إليه رأسها وسألها :

- كيف ؟.. أريد أن أقول... أن ... الصمم ؟" أجابت :

- هدوء تام .

كانت هذه هي إجابتها لعامة الناس ، ولكنها حين رأت تعبير عينيه، لامت نفسها أنها عاملته كالباقين وأضافت :

- إنه شيء بسيط ، ليس كطنين في رأسي يدفعني للجنون إنه يضايق ، هذا كل شيء . وأضافت :ولن تكون هناك مشكلة لو أن كل الناس صم ولكن الطامة هي عندما لا تستطيع أن تتواصل مع غيرك .

- هل ولدت صماء يا "هنه" ؟

- لا . إنها الحصبة . كان عمري ست سنوات . كنت مريضة جدا ، حرارة عالية جدا . كنت أستعين بسماعة بضع سنين ولكن بعد فترة لم أستطع سماع أعلى الأصوات .

- درست في مدرسة متخصصة ؟

- لا ، جاهدت أمي كي أعيش حياة عادية .

ومع ذلك فقد كانت التجربة قاسية ولم تعترف أبدا بهذا لأمها ، كانت مختلفة ، كانت تجاور التلاميذ "الآخرين" يكون الأطفال أحيانا في غاية الفظاظة ، وتعلمت أن تقرأ الشفاه بأقصى سرعة لأنه لم يكن هناك حل غير هذا وكي تسر والديها . وكانت تذهب إلى متخصص ثلاث مرات أسبوعيا - ومثل بنات سنها كانت تتعلم الباليه ، وحمدا لله كانت تستطيع أن تعبر بطريقة كافية لاكتساب صداقة من يرغب في سماعها . ولكن مهما كانت مهارة قراءة الشفاه فلا تستطيع أن تفعله إلا مع شخص واحد في كل مرة . ويبدأ الكابوس حين يجتمع حولك أكثر من صديق ، فتتوه نصف المحادثة ولا أفهم النكات والردود السريعة ... كل ما في ثرثرة المراهقين من هزل .

كبرت وحدها مرتبكة . عرفت لحظات سعادة بفضل والدها خاصة ولم يكن يعتبر نفسه مسؤولا مثل زوجته ، ولم يقف أمام رغبتها في أن تفرض على ابنتها حياة عادية ، ولكنه حين يكون مع "هنه" وحدهما لم يكن يفرض عليها أن تقرأ الشفاه وإنما كان يكتب لها خطابات

طويلة مسلية عن أفكاره الخاصة جدا .

لم يكن يصر على أن يراجعها أو أن يجبرها على إخفاء عاهتها . وكانت "هنه" تعلم أنه يفهمها حينما توبخها أمها لهذا السبب أو لذاك، وقد ساعدتها كثيرا جدتها لأمها - إنها هي التي فكرت بذكائها أن توفر لها أشياء عملية تساعدها في محنتها.

- هي إذن التي أعطتك أول آلة تصوير ؟

- نعم . وكان يوماً مشهودا بالنسبة لي . لم يكن والداي موجودين . كان أبي يبحث عن عمل . كنا مضطرين أن ننتقل إلى سكن آخر ولم يكن هذا نبأ سعيداً بالنسبة لي : التعود على معايشة أناس جدد ، حي جديد ، وخاصة مدرسة جديدة وكان يوم ميلادي ، وقدمت إلي هذه الهدية ودعت إحدى صديقاتها الصم أيضا.

- لم تكوني قد قابلت أحداً في نفس حالتك ؟

- لا ، أبداً ، كان بالمدرسة زميلان أصمان ولكنهما كانا يكبراني وكانا مثلي لا يختلطان بالآخرين .

أعلم أن هذا جنون ولكن .. كنا معا هي وأنا متماثلتين على نفس المائدة ولكنا لم نكن نستطيع أن نتفاهم .

- وبعد ذلك؟

- رمقتني بعينيها وبدأت إشارات غريبة بيديها واعتقدت أنها غبية .

- كم كان عمرك ؟

- خمس عشرة سنة ، في هذا الوقت فقط بدأت تدريبي .

- بمعنى ؟

- كان أول شيء فعلته حينما انتقلنا إلى المسكن الجديد هو أن بحثت عن مكتبة البلدية ، وجدت كتابا عن التفاهم بالإشارات وآخر به نصائح لمن هم مثلي . كنت أعتقد أني تقريبا الوحيدة بهذه العاهة المؤلمة وعلمت أن تعدادنا بالملايين وأن هناك مدارس وجامعات مهيئة لنا.

- ألم يخبرك والدك بذلك ؟

- لا ، ولم أسأل ، قالت بنبرة أسى : ولم تكن أمي لتسمح لي ،

إني ... ليس لأنها لا تحبني بل بالعكس فلم تعش إلا لي ، علمتني أن أتصرف وحدي ، أن أضحك دون أن أصرخ ، أن أتحكم في صوتي ومشيتي ، علمتني أن أكون دائما منتبهة ، ولم يلحظ أحد ، أني صماء وذلك بفضلها .

- هيه ...

اسمع ، هي كانت تفعل ما تستطيع لكنها لم تستطع أن تعلمني كيف "أكون" فتاة صماء ، بدأت المشاحنات حينما تعلمت ذلك . ولحسن الحظ ساندني أبي وجدتي سنين كثيرة ، وتمكنت من إنهاء دراستي الثانوية في معهد متخصص وتمكن أبي من تدبير مصاريف إرسالي إلى "جايوديه" .

وهناك كانت المشاجرة الكبرى .

- وما "جايوديه"؟

- ألا تدري . إنها جامعة مشهورة للصم . إنها في "واشنطون" وبعض المدرسين أنفسهم صم أيضاً .

- أين المشكلة إذن ؟

- لم تكن أمي تريدني أن أذهب " .. هو ... م .. إني جائع ! أتريدين ساندوتش ؟ وتبعها إلى المبطخ .

ولم تمتثل أمي إلا عندما وصلت إلى الدبلوم بعد أن ذهبت وغدوت عشرات المرات وبعد مئات المرات من الاتصال بمعملي .. ولم تكف عن مراقبتي حتى بعد أن انتقلت إلى معهد متخصص في روشستر لدراسة التصوير ولم تحتمل أبداً فكرة أني من الممكن ألا أعود إلى المنزل بعد الدراسة .

- أرى ...

- ثم فكرت في الذهاب إلى "نيويورك" كنت أبغي الشهرة ولكنها كانت ستجن . وجودي هنا لم يكن سهلا .

- لماذا ؟

- أنا صماء . وأنا أريد أن أنجح في عالم آخر ، عالم الذين يسمعون، إنك تكون أكثر أماناً في عالم من يماثلونك في المشاكل . هذا أيسر بكثير ، ثم انظر من النافذة ، قالتها وهي ممتعضة وانحنى من

فوق كتفها :

- ماذا ؟ سيارتك ؟

- هذا الشيء الكريه يذكرني أني يجب أن أكون بالخارج منشغلة بإصلاح ما ورائي أو أحد المكابس بدلا من اللهو معك هنا .

- "هنه" ، لا يوجد بالسيارة غير مكبس واحد ، ثم ماذا تفضلين ؟ أن تلوثي نفسك طول الوقت في ركن من الشارع تحت سيارتك أو أن تفعلي ذلك وكما يحلو لك هنا ؟ معي ؟

نعم إنها بالفعل ليلة دافئة وكسلة قضياها معا ! واسترسلا في الحديث والتآلف ، ومع التصريحات الحميمة صارا كأنهما صديقان قديمان .

وسألته كيف وصل إلى سباق السيارات ، تكلم عن أبيه وطفولته في "فرجينيا" .

تحدث عن المزرعة وقسوة العمل بها، عن الذرة وأشجار الفاكهة وعن الهواء المحمل بالأتربة وعن والده الذي كان يقضي الساعات محنيا لإصلاح سيارة مستهلكة . كان الأب يهوى قيادة السيارات أما الابن فالسباق بها والفوزهدفه . هذا هو مبتغاه ولم يعديهتم للطرق المتربة. وفي سن الثامنة عشرة اشترك في أول سباق رسمي . وكانت معرفته "لچو ماليني" أكبر نقطة تحول في حياته . كان هذا الأخير يملك ثلاث سيارات سباحية خصصها للسباق .

كان هو يقود واحدة "وسام" الأخرى و"تريفور" الثالثة .

اكتسح الثلاثة السباقات في طول البلاد وعرضها مدة ست سنوات.

كان "سام" أحسنهم ويفوز بأحد المراكز الثلاثة الأولى ويعود بالغنيمة الكبرى والمال الأكثر إلى البيت . كانت صداقتهم متينة . كانت أسماء "ماليني و"ماكينون" متعاوضة ، كانوا شركاء في كل شيء ما عدا النساء .. طبعا . وسألته "هنه" وهي جالسة على السرير مرتدية التايور .

- ألم تشعر أبدا بالخوف ؟ قال وهو ينهض فجأة .

- لم أعد أتسابق .

واتجه إلى النافذة واستغرق في تأمل الليل .

- لكن .. لماذا ؟ رد بحدة :

- وهذا أيضاً عمل يجب أن يهتم به أحد . و"تريفور" غبي .

-أخوك؟

- هو ليس أحمق تماما ، ولكنه يستخف بالأعمال واهتماماته الوحيدة هي بالترتيب :

السباق ، وملاحقة النساء .

- ولكن ؟ هل هو سائق ماهر ؟

- هذا العام كان استثناء بالنسبة لنا ، هو ما زال فتيا وهو يتقدم .

- أنت ، هل تشتاق ؟

هز رأسه بالنفي ولكن "هنه" لاحظت انه يتجنب أن تتلاقى نظراتهما!

- في الحقيقة ، أنا انجح أيضا في امتلاك السيارات وتحسين موديلات جديدة وتطويرها باستمرار كما إني ناجح في إدارة فريق من أحسن المستويات . أرأيت !

- كلمني عن أعمالك .

- حسنا . أهذا يهمك جدا ؟ نحن الآن ملاك خلوص في قطاع السيارات والصفقات السريعة. ثم هناك شيئان أو ثلاثة أخرى ، فإن عملي يتطلب مني أن أنتقل من اهتمام لآخر حتى أطمئن أن كل شخص يقوم بعمله بطريقة صحيحة تدر علينا المال .

- إذن ، فانت غني .

ابتسم لها . هو يعرف أنها ليست انتهازية وإذا كانت كذلك فسيعرف كيف يهملها .

- اسمعي في ثلاجتي توجد كل أنواع الأطعمة ويتبقى الكثير بعد الغداء ، أهذا ما كنت تودين معرفته ؟

افهمت ! إني أحافظ على رشاقتي فابتعد عن السكريات وحينما توجد الكثير من الفاكهة فإني لا أستطيع أن أقاوم ...

- تنقصك الإرادة .

- الإرادة ... وتعلقت عيناه بديكولتيه فستانها وردد "الإرادة" فكرة جيدة .

وانحنى بشفتيه على فم "هنه" .

الفصل الخامس

سألت "هنه" ، أليس لديك ماتعمله اليوم ؟

وأفلتت منها صيحة عندما طوقها بذراعيه . وجذبها إلى السرير ، كان صباح الاثنين وكان دهشا لسرعة انقضاء ثمان وأربعين ساعة وهما معا ، قال وهو ينحني فوقها .

- "نعم ،لدي أعمال ولكني لا أسميه كذلك" وتفكر منذ متى لم يقض يومين طويلين في سرير مع امرأة جميلة ؟

- ثم إني صاحب العمل . ليست لي مواعيد منتظمة .

- تاتاتا . وأنا أيضا رئيسة نفسي وليست لي مواعيد منتظمة : وإذا جاعت "كلويه" فستجدنا في السرير .

- حين ترى سيارتي بالخارج ستنتظر بالتأكيد إلى أن أرحل .

- أتعتقد ذلك ؟

- بالتأكيد . هي تصفف شعرها كيفما اتفق ولكنها تعرف متى تكون غير مرغوب فيها .

فكر "سام" في اليومين الماضيين وكيف تصرفت بحكمة ؟

www.elromancia.com

- أولا إن تصفيفها لشعرها ليس بهذا السوء الذي تصفه نساء كثيرات يقضين الساعات الطويلة عند مصففي الشعر كي يحصلن على شعر مجعد مثلها ومستعدات لدفع حياتهن ثمنا كي يكون شعرهن جميلا بالطبيعة .

- انت شعرك مجعد . أليس كذلك ؟ ولكنك لا تشبهين فلاحة مشعثة .

- هوم !

ظل "سام" يمطر صدر "هنه" بقبلاته وينظر تارة إلى عينيها ووجهها وتارة لجبهتها وخديها ورسم أنفها الجميل . ثم عينيها ، عينيها اللتين أسرتاه منذ أول لقاء وأثارته ..

- يا إلهي ! لو أن "كلويه" ، إني ...

وسمعت صيحة "كلويه" في الدور الأسفل .

- سلام . امل أن تكونا في وضع لائق يامن في الدور الأعلى . لأني قادمة .

فوجئ "سام" وتغير لون وجهه . وفي أقل من ثانية أمسك بغطاء السرير وإئتزر به وبدا هادئا واثقا بنفسه عندما ظهرت "كلويه" عند الباب بينما انفجرت "كلويه" في الضحك وصاحت :

يا إلهي ! . ترددت في المجيء . في الحقيقة يا "هنه" الساعة الآن الثامنة والنصف وميعاد كلويه وأنا في المنتزه في العاشرة " ردت "هنه" وهي تغالب ضحكها وقهقهتها :

- اعرف وساسرع " وسألها "سام" مبتسما

- هل أستطيع أن أعرف ماذا سيدور في المنتزه في العاشرة ؟

- نحن نصور ملابس مدرسية للبيع " أردفت "كلويه" :

- ولن نجعل التلاميذ ينتظرون . فهم يصبحون بسرعة . هم غير محتملين .

- وكم من الوقت سيستغرق ذلك ؟

- ثلاث أو أربع ساعات . ثم نعود لإكمال العمل هنا

- وتظلين كثيرا في الحجرة السوداء ؟

- لن افعل قبل نهاية الأمسية . وسنرتب صفحات الكتالوج بعد

الظهر . يجب أن ينتهي بعد ظهر غد .

ولن أحمض قبل رحيل "كلويه" . صاحت "كلويه" :

- أوه! إن "هنه" تكره العمل بالكتالوجات وسيستغرق ذلك منها وقتا طويلا! حسنا !

سأسخن السيارة . أتريدين شيئا ؟

- لا . شكرا .

واعتقد "سام" أن "كلويه" ستذهب . ولكنها ظلت واقفة . وبعد لحظة سكوت ثقيلة استدارت وسألته :

- أخوك ؟ هل تشبه دروسه في تعليم ميكانيكا السيارات طريقتك ؟

عاد "سام" في ساعة الغداء إلى بيت "هنه" . هو أراد ذلك . هو يعرف أنها ستوجد قطعا به لتاكل شيئا .

- إني . اعتقدت أن ... هوم ... مع أنه ليس من الضروري ان تعرفي الكثير عن تشغيل السيارات فإنه من اللازم ان تعرفي شيئين أو ثلاثا قبل أن نرحل إلى "روتوك" . سنتحدث في ذلك على الغداء . لم تاكلي. أليس كذلك؟ كانت "هنه" متعجلة جدا . هي ترص ملابس الأطفال على مائدة . وهي واقفة عاليا على كرسي مطبخ واستعدت . وضعت الكليشهات . ولكنها لم توح أنها لا ترغب في الثرثرة مع هذا الاستغراق في العمل

- إني سعيدة لرؤياك ثانية . كنت أمل أن تعود لتساعدني .

- رائع " انزلي إذن وهيا لنتغدى ! وأطاعت ولم تنتظر أن يلح عليها .

- "سام" ! أنا أكره هذا النوع من العمل . هو لا يتغير ويعاد باستمرار . قال "سام" وهو ينظر إلى المنضدة :

- أهكذا تصور الملابس المعروضة للبيع في الكتالوجات؟

- أحيانا . ليس هذا سيئا جدا لكن طول الوقت .

- إذا كان ذلك يضايقك فلماذا تفعلينه ؟ توجد مئات الموضوعات الأخرى لتصويرها . لست ملزمة بتصوير المانيكانات فقط ؟ أو البورتريه ؟ إن التي في صالونك في غاية الجمال

تبادلت المرأتان نظرة طويلة ثم قالت "هنه" :

- " إني افعل ذلك لأني أحب أن انفق على نفسي كما أن علي أن أسدد

رهن منزلي ولو كان بإمكاني لضاعفت الجهد كي أدفع لمساعدتي ما تستحقه " ردت "كلويه" بدون أن ترفع عينيها عما تفعله :

- " إن ما تدفعينه لي كاف " نظر إليها "سام" باهتمام . قالت "هنه" وقد فاجأها ذلك :

- هي تحب المزح . تقول : إني أدفع لها ما يكفي .

اكتفت "كلويه" بهز رأسها . أما "هنه" فبدت متوترة وهي تضيف:

لو لم تكن تقطن بالقرب من أمي وتستخدم سيارتي لـــــبحثت عن عمل إضافي . هي تلازمني لأنها تحبني لا أكثر !

وكان هذا الحديث أصاب "كلويه" بالملل وكأنها سمعته للمرة العاشرة فصاحت بها :

- كفي عن مضايقتي ؟

- مضايقتك ؟

- نعم أنت أسوأ من أمي تعلمين أني أحب ما أعمله معك ، ولست بحاجة إلى الذهاب إلى الجامعة لأحصل بعد ذلك على عمل يفسد علي حياتي . أنا سعيدة هنا . وإذا فكرت في ترك عملي معك فعلي أن أملأ صحيفة أحوال أليس كذلك ؟ صاحت "هنه" وهي تقفل قبضتيها " أوه!"

- ولكن عم تتكلمـان ؟ لم يكن "سـام" يدري إلى مـاذا تتطرق مناوشتهما .

- أبدا . إن "كلويه" تكره أن تملأ استمارة حتى لا تذكر اسمها الرسمي .

نظر "سام" إلى "كلويه" نظرات مرح وفضول . إن لها شعرا كناجدا وحركات غريبة ومع ذلك فقد بدأ يحبها :

- حاولي أن تتخيلي نفسك باسم "صموئيل جدعون" مثلا . إن هذا كلفني كسر أنفي مرتين :

- حقا ؟ لا بأس بـ"جدعون" ! آه لو علمت الذي لي! رد "سام" وهو يعض شفتيه حتى لا يضحك .

- أقطع من هذا ؟ أجابت بلهجة جافة : "تماما" . وتدخلت "هنه" :

- إنها تبالغ ! إنه اسم جميل خبريه به .

- وحياتي أبدا ! اذ هبا لتتغديا وانسياني . لدي عمل كثير مع أمي

العزيزة وحملتها الأخيرة !

وسألها "سام" وقد قرر أن يرفع الكلفة بينهما (. يناديها بـ"أنت):

- "لماذا لا تأتين معنا . إني أحتاج إليك لتشرحي لـ"هنه" أسرار رياضة السيارات ، هيا لا تتعنتي .

أهذا أنت أم صخرة . أنا لازلت أجهل لغة الإشارات.. إلا إذا كنت تتبعين نظاما للتخسيس ؟

قالت "هنه" وهي تحاول إخفاء بعض الضيق : " تعالي إذن " .

لم تكذب "هنه" حين قالت إنها سعيدة برؤياه ثانية : هي لم تكف عن التفكير فيه واستعادة كل كلمة نطق بها وحركاتهما معا وقبلاتهما ، وهذه الليلة الليلة الأولى لهما حيث خيل لها مالوفا تماماً وكأنها تعرفه منذ الطفولة . ولم يكن وجهه هو الذي بدا مالوفا لكنه "هو" هذه الرقة ، هذه السماحة .. هذا الاعتزاز بالكرامة ، هذه الشجاعة وهذه القوة . هي وثقت به في الحال لما توسمته فيه من طيبة وطبع رءوف . وتحققت من ذلك كله منذ الليلة الأولى . أحبه قلبها واستعذب وجوده بجانبها وابتهجت أن تكون له . لكن حبها كله لهفة واستحواذ على الحبيب هي لا تريد أن يشاركها فيه أحد . هي تريده لها وحدها بدون منازع .

المنطق والعقل يقولان لها إن "كلويه" لا تشكل خطرا بالنسبة لها . هي تعرفها جيدا جدا وتحبها بإخلاص وتعرف مع ذلك أن الحب شيء رقيق سهل الكسر ولم تكن سعيدة بهذا الإحساس العام الذي تستشعره في هذه اللحظة ، إحساس الغيرة .

خرج الثلاثة معا وتوجهوا إلى مطعم صغير مجاور في مكان بسيط وهادئ يقدم أطباقاً لذيذة عند وصولهما إلى المطعم ، توقعت "كلويه" و"هنه" محادثة سهلة وهادئة ولكن سرعان ما تغيرت اللهجة كان ما يقوله "سام" صعب الفهم في مشقة قراءة ميكانيكا ، فهدف السباق واضح وهو أن تكون الأول في خط النهاية ولذا من الضروري أن تحصل على أحسن سيارة . أما السبيل إلى ذلك فأمامه عوائق جمة : ساعات تحضير ، ضبط ومباحثات كثيرة مع المولين وكم أخر من التعقيدات قد تكون الحلبة صلبة أو رخوة ، إحداها أوسع من أخريات

وقد يضطره المطر او الحرارة او الرياح إلى إعادة حساباته ، عرق يلف المتسابق في الحلبة اكثر من مائتي مرة ويحرق خمسة عشر إطاراً ويعلم الله كم من الوقود يستهلك في المباراة العادية ..!

وسر المراتين ان تعلما انه لا يتحتم على المتسابق ان يشترك في كل مسابقات الدورة وان يفوز بها كلها كي يكسب جائزة مثل كاس "وينستون" او "بوش الاهلي الكبرى" . يكفي ان يحصل على احسن متوسط كي يفوز ، قالت الاثنتان : لابد ان هذا النظام وضعته ام او زوجة احد المتسابقين ، ولم يتوقف "سام" عن الكلام عن المكابس ومشاكلها المعقدة وعن تبديل السرعات وعن نظام الفرامل ، كما اعطاهما محاضرة عن الديناميكية الهوائية وعن مضخة الوقود وحمض النتريك وعن الضغط .

وفجاة قاطعته "كلويه" محتجة :

- الرحمة !

لم اعد اقوى على إشارة اخرى او على الإمساك بالقلم! سالها "سام" مبتسما :

- عفوا! هل اتكلم كثيراً ؟!

- لا، إنما اقول : إن هذا كثير في حصة واحدة . دع الباقي لمرة اخرى

خرج ثلاثتهم من المطعم واعاد "كلويه" إلى بيتها . كان حصى ارضية الشارع يصر تحت اقدامهم . كانوا فعلا الوحيدين الذين يتمتعون بالسكون والهدوء المنعش . وجلسا امام باب المنزل قال "سام" لـ"هنه" :

- " اتعرفين ؟ ما من شيء عن الذي قلته يتعلق بالسباق " . وقاطعته "هنه" قائلة :

- انتظر ! تعال اجلس هنا تحت ضوء الفانوس هكذا، هنا استطيع ان اراك ، واستدرك "سام" وقال:

- عفوا . نسيت .

- الحياة مع صماء ليست سهلة . اليس كذلك ؟

- ساعتاد . كنت اقول إن السباق نفسه هو اهم ما يثيرنا . وتاتي في المرتبة الثانية كل المهارات الفنية منذ مدة ، كان الشباب يستخدمون

سياراتهم الخاصة للهو . كانوا يتسابقون فقط ليكونوا الأحسن والأمهر في منطقتهم للفوز فقط وليس للمال ، وفقط ليقال :إنهم يمتلكون احسن سيارة في المنطقة وامهر السائقين وللحقيقة ، لم يتغير شيء وشاب صوته شيء من الحنين - ولكن اصبح المال الآن عنصرا مهما . احسن السيارات واحسن المحركات ضمان اوفر ولكن الاساس هو لم يتغير اي السرعة وان تسبق من يجري امامك وعليك الشجاعة والإقدام إلى اقصى الحدود وفي كل مرة على المتسابق ان يحلم باكثر مما وصل إليه ، قالت "هنه" :

- اي تعطي لقلبك جناحين .

- ماذا ؟

- هذا ما كان يقوله لي "بوز "إليوت" عندما كان يتسلق الجبل . هذا ايضا هو ما اشعر تجاه الة التصوير الخاصة بي وهو إحساس اي شخص عندما يفعل ما يريد ، عندما يفعله وهو يريده في قرارة نفسه على الرغم من الخوف والفشل المتوقعين.

وهذا ايضا كانت تقوله جدتي .

- اكانت تقول لك ذلك ؟

- احب ان تقابلها ، ستعجب بها . إنها نشطة جدا .

- اتشبهينها ؟ ردت "هنه" وهي تضع يديها على كتفي "سام" .

- إني احاول . إنها تعرف دائما ماذا تريد . وكانت تقول لي : "هنه"، انت فقط صماء ولكنك بصحة جيدة وانت صغيرة وقوية ولست غبية تستطيعين ان تطيري إن اردت ، اعطي جناحين لقلبك .

ناضلي لتحصلي على ما تريدين حقا . لن يحل محلك احد في ذلك ولا تدعي احدا يملي عليك طريقك ، سيري إلى هدفك .

تزاحمت كلمات "هنه" ومقاطعها التي تعطها او تؤكدها احيانا في راس "سام" وكانها سكاكين تخترق قلبه . قلبه هو بكل خجله والمه ، بكل اسراره وخوفه ، قلبه المهيض الجناح العاجز عن الطيران . واحس في قرارة نفسه كم الصدق في تعبيرها وهو يتذكر معنى ان تحلق بحرية وان تحقق ذاتك .

واحتواها بين ذراعيه وغاص وجهه في شعرها . لم يكن يريد أن تلاحظ اضطرابه وأن تدرك فشله

وظل محتضنا "هنه" مدة ليست بقصيرة سعيدا بالتصاقها به واستسلامها له . ود"سام" أن تمده بمثل قوتها ولكنه لم يجرؤ. ماذا لو حكى لها عما جرى ؟ وكيف جرى ؟ ماذا لو أشفقت عليه أو خاب أملها فيه . هو يريد أن يتحدث إليها . هو يريد أن يشاركه أحد حمله الثقيل. يريد أحداً قادرا على تفهم معنى أن تكون إنساناً، وأن تسقط وأن تكون جبانا ، ولكن لقلب "هنه" جناحين هي شجاعة . وهو لن يفرط فيها بعد أن عثر عليها ، لا ، لن يقول لها . وسألها "سام" وهو يدفن ألمه في قلبه:

- وحدث كل ذلك عندما تكاتفتم أنتم الثلاثة ضد والدتك؟

ردت وهي تداعب شعيرات على رقبة "سام"

- رفضت جدتي أن تجادل أكثر . عندما قررت أن تساندني . واتخذ أبي القرار الأخير . وكفت أمي عن المعارضة رغم قلبها الكسير . لم يكن والداي يتصادمان أبداً . عادة ما كان أبي يوافقها الرأي . لذا لزمت أمي الصمت ولم يعد الحال كسالفه . لقد انكسر شيء. وكنت أنا المتسببة في ذلك ، عقب "سام":

- " أؤكد لك أن هذا كان سيحدث مهما كانت الأحوال. إن ما يحدث بين اثنين لا يحمل وزره ثالث وخاصة إذا كان الطرف الثالث طفلة... وكانت شفتا "هنه" الرقيقتان قريبتين جدا من شفتيه فلم يقو على المقاومة وقبلها .

- اسمعي يا "هنه" . كنت ستقررين إن عاجلا أو آجلا . كنت سترحلين. أنت مخلوقة لتطيري.

ابتسمت وقد سرها أن يفكر بها هكذا . كل شيء جميل ، قد يكتشف يوماً أنه جاوز التقدير عنها ولكن لا بأس هي فخور حاليا بما يعتقده. وسألته وهي تداعب شحمة أذنه اليمنى

- وأنت يا "سام ماكينون" قلبك ؟ له أجنحة ؟

- وأنت معي . ملاصقة لقلبي فإن كل جسدي يهيم ويطير

- إني جادة . أيوجد شيء في العالم ترغبه ولم يتحقق بعد ؟

- نعم .. - ما هو ؟ - أنت

الفصل السادس

لا يعشق " تريفورماكينون" من ملذات الدنيا قدر سباق السيارات والنساء .. هو يعرف ما لهذين النشاطين من مخاطرة وإثارة ولكن لا يطيق أن يبدلهما أو يستغني عن كلا الاثنين.

صاح تريفور في أخيه.

- هيه ! هل ستستأنف العمل ؟ ! بالأمس أغفلت غذاء عمال تجهيزات داتلفي كي تلاقي هذه المرأة، ومساء أمس فاتك اجتماع "روي جاربر" .. ألم تعلمني أن العمل هو العمل والمرأة فقط امرأة . وكذب "سام" حين قال :

- لا . لست أنا ... قلت فقط العمل أولا فكيف يتسنى أن تهتم بالمرأة؟

- نفس الشيء فكر "سام" . ليس تماما مع أنه لا ينوي أن يتفلسف مع "تريفور" . نعم هو يعلم أنه أهمل عمله أخيرا وليس بحاجة لمن يذكره بذلك حتى ولو كان أخوه ويغيظه جدا أنه لا يجد ما يجيبه به أو ما يعتبه عليه

www.elromancia.com

كان "تريفور" ينظر لعمله بجدية ... يلعب بجدية ، يشرب كذلك ويلاحق أيضا النساء بكل جوارحه

هو ليس كأخيه ، "سام" رجل هادئ ذو عقلية اقتصادية مخطط ماهر. أما "تريفور" فهو يعيش يومه وكأنه ليس له غد ... ولكن وقع على عاتق "تريفور" وحده بعد أن هجر "سام" حلبة السباق ، أن يحافظ على الصورة اللائقة لمنتجهما حتى يظل يعجب هواة السباقات ... طبعا نحن في غنى عن الإشارة إلى ما عاناه من اضطراب في حياته لذلك وأنه لقي كثيرا من المشقة في أن يبدو متعقلا ليعجب هؤلاء الشيوخ الذين يفضلون جمع المال عن السيارات ، وكان لـ"سام" فضل وأيضا مسؤولية أن يعيد "تريفور" للصواب كأخ أكبر ورجل أعمال ناجح ... وقد تشاحنا كثيرا وتناقشا طويلا فيمن يحق له الإدارة أو من عليه أن يدفع الفواتير حتى يقتنع "تريفور" أن عليه أن يطيع أو أن يترك السباقات ، وقد أطاع جدا ... فقد أصبح بين ليلة وضحاها حلم هواة السباقات ، ولم يكن سهلا بالطبع أن يجد "تريفور" شبابا كلهم حماس يفوزون بانتظام في السباقات ولا يشربون إلا قليلا ولا يخطئون أمام الصحافة ويحتفظون بأسرار حياتهم الخاصة لأنفسهم وهو يعرف ذلك ...

- كيف تركتني في مثل هذا المأزق مع هذا الـ"جاربر" ! لو كنت رأيت زوجته ... إنها في غاية القبح !

وأنا بينهما أبيع لهما ...

- حسنا ! أعتذر ! أيكفيك هذا ؟ وماذا أيضا ؟

- "يجب أن تهتم بذلك في المركز التجاري يوم الثلاثاء، صاح "سام" وهو يفتح أجندته بسرعة وبعصبية ...

- الثلاثاء ! يجب عليك أنت أن تكون هناك ! تركٌ ... ! يجب أن يذهب أحدنا وأنا مشغول جدا الثلاثاء ...

أجابه أخوه بابتسامة ساخرة :

- أعلم ولكني لن أذهب بدونك ! هم "سام" أن يرد بقوة على هذا الإنذار عندما أمسك ...

- ولم لا ؟ أنت تعشق التنزه في مثل هذه الأماكن واستمالة الفتيات الصغيرات الساذجات ...

- أتعتقد ؟ إني أفضل الكبيرات سنا ... المتمرسات ، الصغيرات الناعمات اللاتي تجدهن في المراكز التجارية يتعبنني ... وأقول لك الحق أنا أيضا مرتبط هذا الثلاثاء ، سأذهب إلى المزرعة - سأله "سام" :

- لماذا ؟ وخفق قلبه بشدة أكثر :

- أريد أن أقابلها

- من هذه ؟

- من في رأيك ؟ التي فتنتك وأخبلتك !

- وهل يجب أن تعرفها ؟ صاح "تريفور" مهتاجا ...

- "سام" ! إني أخوك ...

- أعرف ...

نهض "سام" ومشى إلى نافذة مكتبه التي تطل على قاعة معرض السيارات وهو يعض شفته السفلى ... هو لا يجد ما يقوله من كلمات ملائمة ... وتذكر تجربته الشخصية ... فصاح فجأة "هي صماء" رد أخوه حسنا

- "هي ليست عادية بالنسبة لي" ، رد أخوه : "حسنا" ...

- "و ... أنا أحبها ... لذا لا أريد لأحد ... ولا حتى أنت" أن يفسد علاقتي بها" رد أخوه : "حسنا" ...

يستغرق السفر في الطريق السريع للسيارات ساعتين بين "ريتس موند ودونوك" ...

كانت الخضرة وافرة وجميلة والسماء بزرقة صافية والجو حار كأنه أحد أيام شهر اغسطس فالشمس تتعامد أشعتها على الأشجار في الظهيرة فيتخلل ضوؤها أوراق البلوط. هنا التنزه متعة لمن تسعده الأيام الجميلة المشمسة وحرارة الهواء الناعمة والريح الذي يداعب الشعور ... ولكن لم يعجب هذا الحلم من بوجهها نمش وشعرها مجعد كأنه يمسه كهرباء ...

وتشاءمت "كلويه" ... لم تكن البداية سيئة ... أراد "سام" و"تريفور" أن يدبرا ليصطحبا السيدتين ولأن كثيرا من الأعمال تنتظرهما كما أن "هنه" تفضل للتصوير الضوء الطبيعي ، لكن كان ينتابهم جميعا

بعض الجبن . "هنه" تخشى مقابلة أم "سام" وأخيه . وهذا اختبار تقع تحته كل حبيبة يقدمها الحبيب إلى أسرته فكيف يكون الحال لمن يتعذر عليها سماع ما سيقال ، ولم يكن "سام" يعرف رد فعل "هنه" حين تقابل "تريفور" وبالأكثر فإن تقديمها إلى والدته نقطة مهمة وصعبة.

كما أن مقابلة "تريفور" لـ"كلويه" لم تكن مريحة . فهي تعرف جيدا ما تبغي من الحياة ولم تتمن أبدا أن تقضي يومين كاملين بصحبة مغامر مثل "تريفور ماكينون" وكما هي عادته أخذ هو المبادرة وسأل "هنه" وهو يضع في ابتسامته كل ما استطاع من ظرف.

- سلام . كيف حالك ؟

واضطرب "سام" وهو يلاحظ ما أظهرته "هنه" من محبة نحو أخيه. ولم يكن في نبرة "تريفور" أي تأثر أو حرج وهو يكلمها . ومع أنه يشبه "سام" في بعض ملامحه وابتسامته أيضاً فقد تميز بهذه القوة الطبيعية التي بها يتناول ببساطة الأشياء والناس كما هم ولا يتطلع إلى تغييرهم . هو يقبل "هنه" بدون تحفظ كما هي . وعاهتها هي جزء طبيعي من الصورة لا أكثر ولا أقل ردت "هنه" مبتسمة :

- صباح الخير . إني مسرورة أن ألقاك . "سام" كلمني كثيرا عنك !

- إذن فأنت تعرفين كم أنا رائع ، لكني مندهش فهو عادة ما يحكي حكايات ويحذر النساء مني .

ردت "هنه" وهي تلقي نظرة إلى "سام" الذي بدا متضايقا أن يرى أخاه يغازلها .

- هذا بالضبط هو ما قاله لي . ولكني أحب أن أكون شخصيا رأيي الخاص .

- هذا تماما نموذج المرأة التي أفضلها ! قال "سام" بهدوء وهو يحوط كتفي "هنه" بذراعه :

- "لا ، هذا نموذجي أنا" . ثم أحاط خصرها بذراعه الأخرى وهو يرمق "تريفور" :

- "وهذه أيضا! سلم يا روميو!" ولمعت عينا "تريفور" وأدار عينيه إلى "كلويه" وقطب جبينه .

- لكني فعلا رأيتكما من قبل الاثنان أنتما . في سهرة "فرجينيا

بيتش" إني أتذكر شعرك .

أحس "سام" أن "كلويه" توترت ، فقال له :

- أقدم لك "كلويه" ، لماذا لا تبرهن لهما أنك رجل مهذب بحمل حقائبهما إلى السيارة ؟

نظر "تريفور" إلى عتبة الباب فرأى حقيبتين وأجهزة التصوير متراصة . فرمق "كلويه" بنظرة واتجه إلى المنزل :

وصاح "سام" مبتسما : انتظري ولا تحكمي على عائلتنا قبل أن تري أمي . إن "تريفور" قليل التواجد .

- "أرى ذلك" وردت "هنه" مازحة : "لقد بدأت أحبه . هذا شيء فظيع وشعر "سام" أن كل شيء مرض .

- أنا سعيد أنه أعجبك ولكن ليس أكثر .

أسندت "هنه" جبهتها على صدر "سام" فأحاطها بذراعيه وهدهدها برفق .

ابتعدت "كلويه" وهي تراقب "تريفور" وهو يستعرض قوته بحمل كل الأمتعة دفعة واحدة ، وتسلت بهذا المنظر ولكنها كانت تعلم من جهة ثانية أن معدات "هنه" أثمن من أن تعرض لأي مخاطر .

عادة "كلويه" تحب الرجال وهي قررت يوما أنها ستتزوج من شخص تفتتن به أو من ثري لو أمكن ،هي تتقبل صغائرهم كشيء طبيعي لازم لتجميل صورتهم ، وكان ذلك نمطا كنظام الميكانيكا والمكابس .

أما "تريفور" فهو مثير للغضب إلى أقصى الحدود وتقدمت إلى العتبة وأخذت آلة التصوير التي كانت تتدلى من كتف "تريفور" وصاح وهو يضع إحدى الحقيبتين على الأرض كي يحرر سير الآلة وصاح بحدة :

"هيه" ! انتظري ! أفزعه تصرفها وفطن إلى أن عصبيتها لا تستهدف في المقام الأول آلة التصوير .

ولكن هو الذي يجعلها عدوانية ، ولم يهمه ذلك وقال :

- "ما دمت ترغبين بشدة في مساعدتي فاحملي هذه الثلاجة" استشاطت "كلويه" من هذا الجفاء وحملت الثلاجة واتجهت إلى السيارة ، قال "تريفور" مشيرا بيديه وبعد أن رتب الأمتعة في

السيارة.

كل شيء على ما يرام . فساله "سام" دهشاً

- بحق السماء ! اين تعلمت لغة الإشارة ؟

- بالتلفاز : شارع سيزام برنامج امهات عازبات مع أولاد . يجب أن أشغل نفسي بينما هنه بالمطبخ

لذا أتسلى بالتلفاز مع الأولاد . ورأيت هذا البرنامج مرة أو اثنتين وحفظت هذه الإشارة .

على العموم هي الوحيدة التي أتذكرها . لاأعرف لماذا ؟!

وتنفس "سام" الصعداء . هو لا يحتمل ان يتفوق عليه أخوه في الاتصال بـ"هنه" . إنها فكرة غير محترمة ولكنه لا ينكرها . وساله "تريفور" : ما كل هذا ؟ رد "سام" :

- أعتقد أن جزءا من الأجهزة لصنع الكليشيه والباقي لأخذ الصور التي ستعجب هواتنا .

- لكن ... لمن هذه الأشياء " ردت "كلويه" !

- إنها خاصة بـ"هنه"!

- " هي .. هي مصورة ؟ " اندهش "تريفور" بطريقة ازعجت "كلويه" ! فصاحت فجاة :

- " هي صماء وليست عمياء . وهي مصورة ممتازة " فتذمر "تريفور" :

- أنا .. أنا لا أشك في ذلك .

تفرس "تريفور" "كلويه" بدهشة . هو متاكد الآن انها تحقد عليه وحاول معرفة السبب . ومع ذلك . إن عينيها الزرقاوين أجمل ما رأى في حياته وكانها هذه الزهرات البرية التي تنمو في الربيع حول المزرعة وعندما تغضب تزدادان زرقة كانهما الأحجار الكريمة النادرة وهو مغرم بنمشها . ولكن يا إلهي لماذا ؟ هي بهذا البياض ؟!

وسمعها تتمتم شيئا غير مستحب عن "شارع سيزام" بينما تمرر حقيبة إلى "سام" قبل أن تبتعد عنه :

- من هذه الفتاة ؟ رد "سام" وقد لاحظ مدى اهتمام أخيه بها

- إنها "كلويه و يلليز" صديقة "هنه" . حارستها الخاصة

ومساعدتها . لو سمحت كن لطيفا معها .

هذه الفتاة "كلويه ويلليز" صديقة "هنه" حارستها الخاصة ومساعدتها جلست في الاريكة الخلفية لـ"ترانس أم" وكل مدة الطريق لم تدخر فرصة لتظهر مللها كلما فتح "تريفور" فمه ليتكلم.

وحاول المسكين أن يكون لطيفا . وعندما توقفوا لتموين السيارة بالوقود أسرع يحضر لها شرابا .

- " اترغبين في اي شيء آخر ؟ محت شفتيها وادارت رأسها . واستطرد :

- حقا ؟ اي شيء قطعة شوكولاتة أو فرشاة شعر مثلا ؟!

رائع ! لقد بدا يضطرب . مما تثيره فيه عيناها ذات الزرقة الجامدة في كل مرة تحول إليه نظرها فيها توعد وكثير من الخطر . شيء لا يقاوم . شيء جذاب كمثل أربع وعشرين ساعة في "مانس"

وتوجهوا إلى الجنوب بعد "رونوك" وعبروا ضيعة تسمى "بوثرميل" واتخذوا طريق الريف

وبعد قليل وصلوا إلى مزرعة يحوطها سور أبيض وفي المدخل صندوق بريد باسم "ماكينون" وفي الحال فهمت "هنه" أن ما تصورته "هنه" عن مزرعته وما حكاه هو عنها وصفه لها . وحصاد الحبوب . وجمع التفاح شيئان مختلفان تماما . و المنزل الرئيسي الضخم ذو النوافذ الحمراء الجميلة يطل على التل تتوسطه شرفة كبيرة يظهر من ورائه سقف مبنيين كبيرين لا يبدوان كمخازن غلال تحوطها الحقول الخضراء . المشعبة والزلط الأبيض يزين الطريق الجميل إلى المنزل . منظر يوحي بحياة سهلة ميسرة . وسالت "هنه" "سام" بينما توقفت السيارة أمام بضع درج أمام الدهليز الطويل :

- كم صومعة غلال تملك ؟ وأين حقول الذرة والحدائق ؟ " وانفجر "سام" ضاحكا وهو ينظر فخورا إلى ممتلكاته التي عدلها وجملها مرارا منذ الصبا :

- اختفى كل ذلك منذ زمن . إن هذا المكان حيث ناتي الآن للاستجمام والاسترخاء . لم نعد مزارعين ولا ضير في أن نقطف التفاح أحيانا . فامي لا تتحمل فكرة فقده جميعه والبستان خلف المنزل .

أضاف "تريفور" :

- هي تقول : على من يريد كعكة منزلية أن يوجد التفاح ، ونحن صغار كنا لا نأكل إلا إياه .

كعكة بالتفاح ، حلوى التفاح ، تفاح مهروس ، تفاح كهذا ، تفاح كذاك والمشروب عصير تفاح .

وانفتح الباب وانطلق الأخوان يعانقان الأم ويقبلانها بحرارة لم تعهدها "هنه" مع والديها .

لم تبد أمها أبدا أية مظهر من مظاهر العاطفة نحوهم وكان أبوها الهادئ اللطيف يبدو منعزلا في عالم ليس عالمهم . أما أم "سام" فهي مختلفة ، قالت الأخيرة بانزعاج لـ"تريفور" بمجرد أن رأته :

- عليك أن تزور الحلاق ! فرد "تريفور" مازحاً :

- ولكن يا أمي ، الفتيات تعشقن قصة شعري ، وتلعبن به ويداعبنني وتتخلله أصابعهن طوال الوقت ، انظري ، جربي ، يبدو انه ناعم مثل شعر الأطفال " أجابته امه وهي تقرص خده برقة ،

- أنا الذي أعطيتك هذا الشعر يا سيئ التربية ولا أريد أن أمسه .

كانت الأم تعلم بعاهة "هنه" ، "سام" أخبرها بذلك ، قالت لها وهي تتفرسها :

- أنت "هنه" ، كنت أعرف أن "سام" لن يأتي هنا إلا بفتاة جميلة مثلك .

وسعد "سام" بالمرأتين ووقف ينظر إليهما فخورا مشرقاً ولم يضايقه أبدا طريقة والدته المباشرة في التعبير عن مشاعرها . أما "هنه" فارتبكت وخجلت لهذا المديح واحمرت وجنتاها وهي تبحث عن الرد الملائم ثم استدارت وقدمت صديقتها إلى مدام "ماكينون" . قالت الأم :

- كلمني "سام" عنك أنت أيضا يا عزيزتي أهلا بك لك اسم جميل أليس كذلك ؟ الك اسم آخر ؟

كذبت "كلويه" وهي تقول بشجاعة جندي صغير طيب : لا يا سيدتي فغمزه "تريفور" وعلق :

- هذا رد صريح !

ورمقته "كلويه" بنظرة حادة كمن تريد أن تفتك به . وبدا أن هذا سره

جدا . هو يدخر هذا الاسم لمس ويلتز إلى الفرص الأخرى ليعاكسها به مثل شعرها وغرورها و"هنه" .

لعبت الأم دور المضيفة ، أمرت الشابين أن ينزلا المتاع ودعت الفتاتين إلى مصاحبتها إلى المطبخ حيث تعد الغداء ، وبعد قليل كلفت ولديها بعمل بالقرب من المجمد وكانا يحاولان التسلل إلى المباني الملحقة . أحبت "هنه" كل ما في المزرعة وتابعت بسرور الأم وهي تعمل وهي تشتكي . أحبت أيضا الأم والأشياء وأريج الحقول وهذه السعادة السهلة والمحبة التي تحيط بكل شيء . هنا تعلم الأخوان أن يتقبلا كل ما لا يرضي وأن يعتزا بكل جميل ، هنا أيضا تعلما أن يقدرا الناس لصفاتهم الحميدة ، لمزاياهم وليس لمركزهم في الحياة . وكان "هنه" أدركت كل ما في وجدانهما من مشاعر وكل ما تعلماه تماما .

وشعرت أنها محبوبة إلى أقصى الحدود ومرغوبة لذاتها . ولا يعني ذلك أن الحياة أصبحت بين عشية وضحاها سهلة ولذيذة كطبق كريز أو تفاح وإنما عليها أن ترقى أكثر من أي وقت آخر إلى مستوى هذه الثقة .

وسمحت لهم أخيرا مدام "ماكينون" بزيارة أحد المبنيين الكبيرين الذي يسميه الشابان "البوتيك" .

عرفت "هنه" أنه جراج حيث تبنى أو تصلح السيارات بين المسابقات . وخمنت أيضا وتخيلت منظر هذا "البوتيك" .

ليس جراجا ريفياً ، ليس كذلك تماماً ! وإنما هو بوتيك تكلف ملايين الدولارات ، أمام الجراج يقف جرار ضخم يتصدره اسم "ماليني ماكينون" يستخدم في تحريك السيارات ونقلها إلى الشاحنات . وتوقعت "هنه" حين اقتربت أن يكون المكان صاخبا وأحست "هنه" بالبوابة تهتز وذهلت من مساحة الجراج ، في الحقيقة المبنيان متصلان ويكونان مساحة أكثر من عشرة آلاف متر مربع وحوله عشرات السيارات المتراصة وفي الوسط يجد عشرون عاملا .

أما المحركات فهي مبعثرة هنا وهناك ولم تكن آلات ميكانيكية فحسب وإنما آلات ضخمة الكترونية متصلة بحاسبات آلية . هنا قنوات وشاشات ورسومات وكأنك بأحد معامل ناساويس في جراج

هواة متحمسين.

وأمسك "سام" بذراع "هنه" وقدمها إلى الموجودين واحدا واحدا ولم يلحظ أحد أنها صماء في البداية بسبب الضوضاء . وكان من الممكن أن يطول هذا السهو لو لم يكن أحد الفنيين يسمى "دارلي إسليك"، وسالته "هنه" :

- عفوا ، لم أفهم جيداً . ولاحت على "سام" ابتسامة حزن وعلق:

- لو حاولت أن أشرح كل شيء سنستغرق اليوم كله . أتريدين أن تتولى "كلويه" الترجمة ؟

- بالتأكيد .

وانتشر الخبر بسرعة جدا وعلم كل الفنيين في البوتيك أنها لا تستطيع السمع وأنه هباء أن توقف الماكينات .

تعودت "هنه" منذ مدة طويلة كل ردود فعل الذين يكتشفون عاهتها من الشفقة إلى كم من الأسئلة إلى الازدراء أوالرغبة في التكلم بصوت عال حتى الصراخ أحياناً .

وأما "كلويه" فلم تصادفها مشاكل من هذا النوع . فهي تتحدث إلى الفنيين الميكانيكيين وتطرح أسئلة كثيرة . هم مؤدبون ومحبون ، "تريفور" فقط هو مشكلتها الوحيدة ، فهو يتبعها كظلها . يصطدم بها إذا توقفت فجاة ، يسارع بمد يده إلى ذراعها إذا اضطرت أن تتخطى شيئا وكأنها عاجزة عن التصرف وحدها .

لكن ما يثير حنقها فعلا هي طريقته، حين يندفع نحوها وحين ينحنيان على محرك يرفع شعرها وهو يهمس احذري أن يؤخذ شعرك في ترس ، سيكون ذلك مريعا ، أليس كذلك ؟

وتقدم شخص ضخم الجسم وقدمه "سام"، إنه "فرانك هوفمن" رئيس الورشة ورجل في حوالي الخمسين من العمر ، يبدو واثقا بنفسه ، باهميته وبلا شك بحجمه ، واثقا بخبرته ، واضح أن "سام" يحبه ويقدره .

نظر "فرانك" مواجهة إلى "هنه" وسالها :

- أنت صماء ! انتظري لحظة . دعيني أفكر .. تشرفت بمعرفتك ، وارادت "هنه" أن تصرخ فرحة :

- وأنا أيضاً سعيدة جداً !

- أوه ! أنت تتكلمين ؟ حسنا .. هذا يسهل الأمور ، أليس كذلك؟ لي ابنة أخ هي أيضا صماء ،ولكنها لا تتكلم ، أنت على الأقل تستطيعين أن تصرخي لو داس أحدهم قدمك .

هي لم تفكر أبدا بذلك لكن الفكرة معقولة . وانفجرت ضاحكة والتفتت إلى "سام" وقالت :

- " أمل ألا تفكر أبدا في جعلي فتاة صماء صغيرة وشجاعة " ، مضى الوقت مسلياً وهم يزورون "البوتيك" .

ماعدا بعض الارتباك بسبب بلاهة بعض الميكانيكية او موهبة "هنه" في التصوير وهو أمر ما زال سراً .

ولكن "سام" موجود دائما بجانبها يذلل كل العقبات .

ودعي "فرانك" و"چيري ويلكز" وأحد المهندسين المتخصصين للغداء معهم ، أعدت لهم مدام "ماكينون" شطائر لحم فراخ باردة وهريسة بطاطس شهية وسلطات وكمية كبيرة من سلطة الفاكهة ، لم يكن هناك مجال لتصنع الخجل في هذا الموقف ، كان "سام" مسروراً جداً ، وأحس أن لـ"هنه" أهمية عظمى عنده والأهم أيضا أنها تقدرهم .. وقالت فجاة:

- من فضلك . أن كل ما تحكيه لي يشدني ولكني أجد مشقة في متابعتك أتمانع في أن تترجم "كلويه"؟ أبدت مثل هذه الملحوظة ، كما أسعده أيضا أن يرى الجالسون على الكراسي يلتفون رويدا رويدا حولها حتى إنهم أيضا يستخدمون لغة الإشارة دون أن يقصدوا ليتحادثوا معها ولاحظت "هنه" من تعبير الوجوه التوتر الذي أصاب المدعوين ، ولم تفهم تعبير "سام" الذي أجاب:

- لا يجب أن أقوم بعملين أو ثلاثة بمكتبي ، اسمع يا "تريفور" ،إن "هنه" ستاخذ سيارة لعمل بعض المعاينات في طريق "مارتنفيل" . أتريد أن ترافقها ؟

- نعم أحب ذلك وأحب أيضا أن أعود إلى البوتيك لأخذ بعض الكليشيهات ، ولكن لا بأس سأقوم بذلك غدا صباحا ، هذا لو كان الكل هنا غدا صباحا.

قال "فرانك هوفمن" شيئا أثار ضحك الجميع ، ونظر إلى "هنه"

وأردف مهتما :

- عمالي يشتغلون سبعة ايام في الأسبوع ويوميا من ثماني ساعات إلى عشر ساعات . سيكونون هنا متى شئت يا جميلتي .

وهمس "تريفور" بـ"كلويه" :

- " وانت ، ما برنامجك يا جميلتي ؟ "ولكن ، ما من إجابة .

- " الا تحبين أن تريني وانا اعمل يا جميلتي انا ؟ "ردت "كلويه" وهي تشخص إلى "هنه" :

- لا ، ولن تحتاجي إلي ، أليس كذلك ؟ أجابت "هنه" :

- " لا اعتقد ولكن هل انت واثقة بانك لن تستطيعي المجيء معنا؟ احسبنا "سنتسلى" ، تمتمت "كلويه" :

- افضل ان انتحر . فزمجر "تريفور" :

- بروت.. كفي ! إن كرامتي لا تحتمل ذلك . أمي ! إن كسلو تريد أن تتشاجر!

ومن تحت المنضدة ، ربتت مدام "ماكينون على ركبة "كلويه" .

- أعتقد ان لها اسبابها يا عزيزي

- " حسنا ! لكني لا أدركها ، لقد استنفدت كل وسائل الظرف معها منذ الصباح ولكنها لا تظهر إلا العداوة ! صاح "سام" مازحا وهو يغمز لـ"كلويه"

- قد تكون عدمت الطريقة ! يا صديقي ! وربما لا تجد فيك الرجل الذي لا يقاوم ؟

ورمقها "تريفور" طويلا وتوقفت نظراته على عينيها التي تنطق بالغيظ وشفتيها الرقيقتين المتململتين

- انا ؟ لا . أعتقد انها تلعب ، تريد أن تصبح مرغوبة!

الفصل السابع

اخيرا ، رافقت "هنه" وحدها "تريفور" مع مجموعة من العاملين الفنيين . لم تكن من مسابقات بعد ظهر الثلاثاء ، فكان طريق السباق خاليا لهم .

المدرجات تتسع لعشرين الفا وطريق السباق البيضاوي ذو الأسفلت الذي يحوطه حاجز . كل شيء يبدو اكبر مما نراه في إذاعات التليفزيون فعلا فكل شيء يبدو أكبر. المدرجات الشاسعة الخالية وعرض حلبة السباق . كل شيء يبدو خطرا ، اكثر إثارة . الجو حار . الميكانيكيون يدفعون على الحلبة "البونتياك مليني ماكيفون" و"هنه" تراقبهم . السيارة صفراء براقة وتحمل رقم (١١) . وفي كل مكان تجد صورا مطبوعة تشير إلى ماركات سيارات السباق .

كانت سرعة "تريفور" في الدورة الأولى للسباق معقولة وراء سيارته كان ينبعث دخان أسود وبعد أن حمي السباق ازدادت السرعة أكثر فاكثر وعندما تمر السيارة أمام "هنه" كانت الأرض تهتز تحت قدميها وفي لمح البصر كانت السيارة تجري بعيدا .

www.elromancia.com

هي لم تفهم ابدا ما يقال حولها ، ولم يعرها الميكانيكيون اهتماماً لفرط انشغالهم ولكن لا توجد كلمات تصف ما تشعر به "هنه" من قوة وإثارة . إنه عمل وعمل جاد بل اكثر من ذلك إنه حياتهم - هم يضعون اسمهم في الميزان . السباق هو الشرارة التي تحركهم .

كل مرة كان " تريفور" امام "هنه" . كانت هذه الأخيرة تضم يديها ويبدو عليها القلق حين تغرس اظفارها في راحة يديها دون ان تقصد . وادركت فجاة معنى هذه السرعة وتلاحق مرور السيارات التي تتقارب اكثر وتزمجر اكثر ، فهو يدنو من الموت ويهزر معه ويتحداه وفكرت "هنه" إني احسده على جنونه .

وعندما كان يبطئ ليدخل اخيرا في الطريق المؤدي إلى المنصة . كان يتصبب عرقا وهو يبتسم كشيطان ووجدت نفسها ترد بابتسامة ايضا ، وفي لحظة ، التف الميكانيكيون حول السيارة وافسحت "هنه" لهم المكان . وبعد ان خلص "تريفور" نفسه من كابينة القيادة تبادل بعض الكلمات مع فرانك وسال "هنه" :

- هيه! ما رايك ؟

- رائع ! مقلق . لكن رائع ! ثم إنك مجنون . اجابها !

- ليس تماما . إني احاول الا اكون كذلك . وهذه السيارة حين تجري على سرعة ثمانين كيلو متراً في الساعة تكون مطمئنة اكثر من سيارتك وهي على نفس السرعة في الطريق السريع نحن لا نبغي الموت وإنما فقط نجري .

- هل ... هل استطيع ان استشعر به ؟

- ماذا ؟ السيارة ؟ انا .. إني لا افهم .

- عفوا . اقصد . المحرك .. اتريد ان تديره ثانية من اجلي ؟

وبدون ان ينطق استدار "تريفور" إلى السيارة وادار مفتاح التشغيل (الكونتاكت) .

وضعت "هنه" يديها على هيكل السيارة حتى ارتفعت حرارتها جداً فاعطاها "تريفور" منشفة مشحمة .

ومن خلالها استطاعت "هنه" ان تقدر قوة المحرك التي كانت ترعش ذراعيها حتى اكتافها .

كانت قوة هذا المحرك كافية للإقلاع بطائرة ، وابتسمت إلى "تريفور" . كانت تفكر كيف من الممكن السيطرة على مثل هذا الشيء وكيف يتسنى الإمساك بكل هذه القوة الهائلة بين الأصابع . وعضت شفتها لئلا تفضح فكرة جريئة طرات لها . وكان "تريفور" قرا افكارها إلا إذا كان بالمهارة التي تمكنه من تفسير تعبيرات وجهها واقترب منها :

- بالتاكيد رخصة (NAS-Car) لقيادة السيارة ليست معك لكني لن اقول لاحد ... والآن ، لا يوجد احد على حلبة السباق - واضاف وهو يفسر كل كلمة - ركزي جيدا على الطريق لا تسرعي ابدا اكثر من اللازم . حافظي على السرعة الملائمة لك . لا تستخدمي المكابح فجائيا إلا في حالة الخطر ، في البداية اضغطي برفق على دعامة البنزين . وعند الدنو من المنعطفات خففي من الضغط على دعامة البنزين ، اسرعي إن اردت في الطريق المستقيم . اتفقنا ؟

هزت "هنه" راسها موافقة بينما اعطاها احد الرجال بزة السباق ووضع "تريفور" يده على كتفها وهو يشير إلى خوذة مثبت بها جهاز استقبال :

- لن نستطيع ان نتصل بك من خلال هذا . لكن انت تستطيعين ان تنادينا ، ولكي نكلمك نحن سنستخدم لوح الاردواز هذا فلا تنسي ان تنظري إليه في كل منعطف .. هل انت مستعدة ؟

- نعم .

واصطكت ركبتاها واصابتها غصة وبسرعة قبل ان تفكر وجدت نفسها محجوزة في كبينة السيارة .

وزمجر المحرك وثبتت حزام الأمان . وشرح لها "تريفور" وظيفة كل ميناء او عداد . واحست وكانها في حلم ولبست القفازات ، واحست بباب السيارة يقفل وضربة تشجيع خفيفة على خوذتها ، وابتسم لها "تريفور" ايضا مد يده رافعا الإبهام مشجعا . كذلك فعل ايضا "فرانك هو فمن" وارادت "هنه" لحظة قصيرة ، ان تهرب .

كان "سام" ينتظرهما . هذا وقت الغداء . كان واقفا تحت السقيفة امام مدخل المنزل وراقب الشاحنة الصغيرة تتوقف وهي تثير عاصفة من الدخان الأبيض . وصاح "تريفور" وهو يقفز على الدرج :

- "هنه" مذهلة يا "سام" ! يا ليتك رأيتها ! رائع في غاية الروعة ! كانت تندفع كالريح ، كالبرق ! شيء لا يصدقه عقل ! " وكرر وهو يرقص الجدك حولها مبتهجا للغاية :

يا ليتك رأيتها ! يا ليتك رأيتها !

وخرجت "كلويه" من المنزل ووقفت بجانب "سام" وصاح "تريفور" :

- لو كنت جئت يا جميلتي ! كنت قدمت لك فرصة عمرك !

أجابت هي بحركة من وجهها ، وارتكن إلى عمود وهو يرمقها بنظراته ، بدت "هنه" وجهها وردي ينطق بالإثارة والابتهاج وعيناها تلمعان سرورا وهاله جمالها حتى إنه بذل جهداً ليتكلم وهو ينظر لكليهما

- وطبعا يا "تريفور"

أذعنت بلطف لكل رغباتها المجنونة

- رغبات مجنونة ؟

وداعب "تريفور" شعر "هنه" وهو يلاعب خصلاته باصابعه:

- " هي ليست لها رغبات مجنونة ! اتعرف ذلك ؟ ! واندفعت "هنه" إلى "سام" وهي تصيح فرحة :

- "سام" ! كانه سحر! كنت ارتجف رعبا في أول الأمر ولكن سرعان ما ...

وتوقفت الكلمات على شفتيها عندما لاحظت عن قرب وجه "سام" ، لم يكن هو ، لم تعرفه وكانها لم تره قط من قبل وجهه ينطق غضبا وحنقا وبغضاء وقد بدله العنف في تعبيراته وقسماته وهو يوجه نظرات لإنسانية تبحث عن "تريفور" وراءها وتتجنبها هي :

وارتجفت وانتفضت عندما اندفع "سام" متخطيا الدرج وهو يدفع أخاه بقوة إلى باب السيارة ، وارتعب "تريفور" ، وصاحت "هنه" "سام" ! لا !

أطبق "سام" بعنف على رقبة "تريفور" والشرر يتطاير من عينيه وظل ساكنا لحظة ثم بحركة مفاجئة من كتفه طرحه بعيدا ، ثم اتجه إلى "البوتيك" في صمت والكل حوله شاحبون مذهولون .

وأعدت المائدة للغداء لم يؤخره المحمر الشهي جدا الذي ظلت

مدام "ماكينون" تعده طول مدة بعد الظهر .

ولم تحاول الأم بحسها الرهيف وسياستها الحكيمة لم تحاول كسر جمود الموقف مع ثقله .

ولكنها تنتظر أن تهدأ النفوس ، ظل "تريفور" صامتا ومقطب الجبين وكانه صبي أخطا ويبحث عبثا كيف يعتذر حتى "كلويه" لم تنطق ببنت شفة . كان من عادتها تجنب التدخل في مشاجرات الآخرين .

ولكن أكثرهم خزيا والأكثر شحنا كانت "هنه" بلا منازع ، فهي سبب المشاجرة بين الأخوين وأيضا قيادة السيارة كانت فكرتها هي ولم يفعل هو أكثر من انه فهمها ، وأصابها ذلك بالغثيان .

هي أيضا متعصبة - ليس لـ "سام" أي حقوق عليها وليس له أن يملي عليها ما يجب ومالا يجب أن تفعله . الا يكونان قد اتفقا معا عليها سراً هي لا تدري شيئا . يجب منذ الآن ، وضع النقاط على الحروف ولكن يجب قبل كل شيء أن تحاول مصالحة الأخوين .

لذلك كان يجب أن تلاقي "سام" وتتحدث إليه . لو علم أنها كانت مرعوبة . وانها لم تتعد مائة واربعين كيلو مترا في الساعة وهذا قليل جدا بالنسبة لمثل هذا النوع من السيارات قد يهدئ هذا من روعه، ولكنه لا يترك لها ادنى فرصة لقول أي شيء .

وبعد أن تجول "سام" في البوتيك على غير هدى ، عاد وتوجه مباشرة إلى حجرته في الطابق الثاني من المنزل ، واطالت "هنه" وهي تبدل ملابسها حتى تعطيه وقتا اكبر ليستعيد هدوءه . وطرقت بابه لكنه لم يأبه . وادارت مقبض الباب .

وكان مغلقا بالمفتاح وعندما ظهر للغداء كان يبدو كمن يعاني ثورة مكبوتة .

في الحقيقة ، "سام" مخادع وهو أبرع ممثل بين هؤلاء ، والآن يجب عليه أن يحافظ على مظهر هذه الثورة المكبوتة وإلا ... وهو يرتعد خجلا عندما يفكر فيما سيفعل باخيه ، على كل ، إن يكن "سام" جبانا، فهذا ليس خطأ "تريفور"، هو فعلا أحمق أن يدع "هنه" تقود هذا الصاروخ ولكنه يعلم أيضا أن أخاه لن يسعه إلا أن يقبل فهو

نفسه يعرف "هنه" معرفة جيدة ، وهو ممزق بين كرامته ورغبته في الاعتذار . وهو لا يحتمل أن يراه "تريفور" مرة أخرى ضعيفا وجبانا .

أما "هنه" ، فلم تجرؤ على النظر إليه . رباه ! ! لو كانت له نصف شجاعتها لاستطاع أن ينظر إلى وجهه في المرآة ، هي تتميز بالعزم أكثر من البصيرة ، ولكنه لا يمتلك هذه الصفة . وامتعض من نفسه .

كيف ستحب رجلا عاجزا عن السيطرة على نزواته ؟

- "سام" ؟... إنه خطئي أنا . لقد كانت فكرتي أنا ..

ولم يلتفت إليها "سام" وهو يغادر المائدة ، بل تصنع أنه حتى لم يسمعها ، وتقدم خطوتين إلى الباب ثم وكأنه عدل ، قال :

- من فضلك ؟ أنا أفضل ألا نتحدث في هذا الشأن الآن .. أنا ... أنا لا أحتمل ، عفوا .

وانزوت في كرسيها بينما غادر "سام" الحجرة ، وبدت الوجوه حول المائدة ، مهمومة وحزينة ، قالت هنه لمدام ماكينون"

- أنا متألمة يا مدام "ماكينو ن" فلم أتوقع أن أتسبب في كل هذه المشاكل !

- لا تعتذري يا عزيزتي فلم تفعلي شيئا .

- للأسف . "سام" يقلق بشأني ، ما كان يجب أن أضع "تريفور" في مثل هذا الموقف وأضافت وهي تنظر إلى "تريفور" : "إني جد آسفة ! تمتم "تريفور" :

- "لست أنت ، أنت لم تفعلي شيئا" وبدا على "تريفور" التردد ونظر إلى والدته ثم نهض .

- تعالي يا "هنه" ، يجب أن أعلمك بشيء !

وتبعته "مندهشة وقلقة بعض الشيء حتى حجرة في السلالم كانت تستخدم في الماضي مكتبا .

وتبعتهما سرا مدام ماكينون و"كلويه" . كانت الجدران مزدانة بالصور الفوتوغرافية ، كانت بالكثرة حتى إنك لا تتبين جيدا لون الورق المدهون . وعلى الرفوف المئات من الكؤوس والشعارات متراصة .

- أخي يسمي هذه الحجرة مكتبة وأنا أطلق عليها حجرة تعذيبه !

ولما أدركت "هنه" أنها لم تفهم وطلبت من "كلويه" أن تترجم وأطاعت

"كلويه" فهي قد فهمت .

- حجرة تعذيب ؟ لا معنى لذلك فا لحجرة مليئة بالذكريات السعيدة لانتصارات وعلامات النجاح والإنجازات . أخذت "هنه" تتفحص كل أركان الحجرة وهي تبحث عما يتسبب في آلام "سام" . هذه الشعارات كانت من كل المقاسات وتحمل اسمي الأخوين ، أما الصور فمع أنها ليست فنية جدا فهي قيمة أكثرها تمثل سيارات سباق في أقصى سرعتها أو واقفة في الموقف ، في إحداها يظهر "سام" مبتسما بعد أحد الانتصارات وقد ظهر متوترا وهو يندس في كبينة السيارة . ويظهر الأخوين في كثير من الكليشهات محيطين برجل مسن وسألت "هنه" :

- والدك . أليس كذلك ؟

إذا كانا قد ورثا عن والدتهما الابتسامة فقد أخذا عن الأب كل الباقي . هنا صور أخرى أيضا "سام" ، و "تريفور" ، و "تريفور" و "سام" و "تريفور" وشخص لا تعرفه .

- من هذا الرجل ؟ أجاب "تريفور" :

- "چو مللينى"

- "نعم أتذكره ، إنه شريككما . قال لي "سام" : إن ثلاثتكم كالإخوة إني متشوقة لمقابلته . " ومرت لحظة صمت قطعها "تريفور" قائلا بلهجة غريبة واهنة :

- لن تقابليه يا "هنه" ، لقد توفي .

- أوه ! إني . لأن اسمه في كل مكان بجانب اسميكما .. اعتقدت ...

- لا يريد "سام" لاسمه أن يختفي ، هذا يساعده على أن يتألم .

- ماذ ؟ لا أفهمك ؟ !

- قتل "سام" "چو" منذ خمس سنوات . " وأفلتت من "هنه" صيحة وهي تلتفت إلى "كلويه" :

- ماذا ؟ - كان حادثا . من الممكن أن يصاب أي أحد آخر . كان "چو" يغادر الموقف

واندفع بسرعة إلى الحلبة ولم يستطع "سام" أن يتفاداه ؟ . كان من الممكن أن يكون أي شخص آخر .. أفهمت ؟ أنا مثلا ! هو يقول : إنه

رأى وجهه ... وجه "چو" قبل أن يصطدم به.

وكان شللا أو مرضا مفاجئا أصاب "هنه" . كانت تود أن تظهر بعض التعاطف مع "سام" ولكنها مع ذلك لا تستطيع تخيل وقع كل ذلك عليه . شيء مروع وظلت مشدودة متوترة جدا . تريد أن تصرخ معلنة حبها لـ "سام" ولكنها عاجزة عن الكلام . أحقيقة هذا ما تسمع ؟

- وفي المستشفى جافاه النوم و .. سألت متلهفة : "المستشفى ؟

- نعم ، دمر، دمر الحادث السيارتين ، وكسرت ساقا ، "سام" . أذكر انه كان ممددا على أرض الحلبة وأنا بجانبه أحاول ألا أفقد الاتصال به ، أحدثه بينما يقصون حديد السيارة . مات "چو" في الحال . ولم يزل "سام" يموت منذ ذلك الحين ... حتى ظهرت أنت . أفاده ظهورك كل الفائدة ، قد تستطيعين انتشاله من حالته تلك.

قالت وهي تهز رأسها :

- لا أعرف . إني لا أتصور حتى ما جرى . ماذا حدث في المستشفى ؟

- أوه ! حسنا ! لم يكن "سام" يريد أن ينام . ولكن ما إن ينم حتى يستيقظ وهو يصرخ . كانت كوابيس وجه "چو" تقض مضجعه . على مدى شهور وشهور كان يتصبب عرقا إذا استيقظ من النوم .

وتاه "تريفور" في ذكرياته وكأنه يتكلم مع نفسه .

- "إني افتقد "چو" ولكن "سام" أكثر ، كان لامعا جدا . أريد أن أقول : أنا طيب .. طيب حقا .

ولكن "سام" كان مختلفا .. كان خطيا . كان أبي يقول دائما : إن "سام" ماهر في القيادة لأنه ليست له أعصاب . أليس هذا ما كان يقول يا أمي ؟" أجابت الأم وعيناها مغرورقتان بالدموع :

- "نعم يا عزيزي" . أضاف "تريفور" :

- إني أنحت في الصخر كي أفوز وأفوز ولأجعله فخورا بي، مع أنه يكفيه كي يفوز هو أن يجلس في كبينة القيادة الملعونة !

وصمت وخفضت النساء حوله الأعين . ورفعت "كلويه" رأسها أولا ، لم تكن في مثل تأثر المرأتين .

ولم تنو أن تحترم كثيرا صمت "تريفور" ففضولها يحركها على كل ، فهي تتبين الآن أحد أوجه شخصية هذا الشاب الذي تجهله معظم

النساء ماعدا والدته . هذا يدهشها بدرجة كافية فعلاوة على تفوقه في السباق، رأت "كلويه" أن "تريفور" يستحق أن تتوقف عنده كامرأة ، وهذا تماماً ما نوت ... وسألته "هنه" :

- ولهذا السبب توقف "سام" عن الاشتراك في المسابقات ، لهذا السبب ، أليس كذلك ؟ ليس فقط بسبب نجاحكما كرجال أعمال! أجاب "تريفور" بصوت خافت :

- "حسنا .. زاد رصيدنا إلى الضعف ومنذ الحادث أغرق "سام" نفسه في إدارة الأعمال وكأنه يريد أن يشغل كل فكره ، أتذكرين يا أمي سنة أن رغب في شراء سلسلة الوجبات السريعة؟ كان يوشك أن يجعلنا بلهاء بهذا المشروع

وفجأة انفجر "تريفور" في الضحك . لكنه ضحك من نوع مختلف وكأنه شكوى .

- نعم ! كما كان رياضيا ناجحا أصبح أيضا رجل أعمال ناجحا والمغرمون بالسباق يتملقوننا ، تتصورين ؟

- بالتأكيد في كل ذلك مشقة لك ، الضغط والمسؤوليات . وعلقت "كلويه" قائلة :

- أسوأ ضغط نابع مني انا لأنك يجب أن تجري لتفوز أولا تجري ! يجب أن تعطي أحسن ما عندك .

وأسوأ من راعي السباق هم "القريبون" .. أن تكون الرجل المحاط دائما بالمعجبين أن تحكي في التليفزيون انك شفيت من الشقيقة (الصداع) بفضل أقراص كذا أو كذا الخاصة براعي السباق مثلا .. أنت مطالب بكل هذه المهارات . أما أحسن القريبين فهن الفتيات الجميلات لذا ، فانا لا أشتكي . قالت "كلويه" .

- طبيعي !

وأضافت "كلويه" شيئا لكن "هنه" لم تكن منتبهة لها. فهي تنتقل من شعار إلى آخر ومن صورة إلى ذكرى . هي تحب "سام" وترغب في إعطائه كل حبها ولكن الوقت لم يحن بعد . فهما مختلفان .

تفكرت بذلك وهي تنظر إلى مدام "ماكينون" التي جلست تستمع إلى محادثة "تريفور" و "كلويه" على مصطبة ولم يزل "تريفور" يسخر من

كلويه وقد ظلت على صورتها الأيام الماضية واعتذرت هنه التي شعرت بمنتهى التعب والتي لا تشغلها هذه المعاكسات الصبيانية قائلة :

- معذرة ، سأخلد للنوم شكرا لحسن استقبالك يا مدام ماكينون .

- تشرفت بوجودك معنا يا عزيزتي ، نوما هنيئا ، وهمت هنه بالخروج حين أمسكها تريفور من ذراعها مستوقفا قائلا :

- هنه ! بخصوص ما حدث منذ قليل ، لم تكن غلطتك ، اتفهمين ، منذ الحادث لم يعد إلى السباقات حتى لايشاهد التدريبات ردت بهدوء :

- فهمت اشكرك يا تريفور وأمل فقط ألا نكون قد جرحناه كثيرا .

عندما اختلت هنه بنفسها في حجرتها لم تستطع النوم ، كانت تريد أن تمحو هذه الليلة الفظيعة والا تعود تتذكر إلا ليلة أن كانت بين ذراعي سام ، وتساءلت ماذا يا تراه يفعل في حجرته ؟ فيم يفكر ؟ هل يرفضها لو دقت بابه ؟ قد يكون ممقوتا أو جارحا أو عنيفا؟

وارتدت الروب (المبذل) فوق الـ(تي شيرت) الفضفاض الذي ارتدته لتنام به وخرجت من حجرتها كانت الردهة غارقة في الظلام وتقدمت حثيثا حتى باب سام وطرقت برفق ما من مجيب ، ماذا ستقول مدام ماكينون عن هذه النزهة الليلية ؟ وطرقت أكثر عنفا وهي تدغدغ شفتها السفلى .

- سام ، سام هنه ، ولكن ما من مجيب

- اسمع يا سام ! إن اردت أن انصرف فكن لبقا على الأقل وافتح وقل لي ذلك مواجهة سام ؟

- سام ! إني ... إني احببت والدتك جدا ولا أريد أن تعتقد أني ... أني إحدى الفتيات التي تخرج في الظلام لتعزي ابنها سام !

شعرت أنها تصرخ ، قطعا أن ما تقوله له صداه في الردهة كلها نظرت إلى السلم ولم تر شيئا وتضاعفت عصبيتها كما تضاعف اضطرابها وركلت الباب بقدمها

وخجلت وهي تمسك بكلتا يديها إصبعها الذي يؤلمها حين احست بمن يمس كتفها ، وصرخت واستدارت واستندت إلى باب الحجرة

- آه ، سام ! أفزعتني !

رد بسرعة عفوا، دون أن تبدو عليه أية مضايقة .

- خلت ، انك في حجرتك ؟ قال ضاحكا :

- وهذا ما فهمته أو ما يخمن من كلامك ، وصدقيني أمي تحبك ولا تعتبرك امرأة مثيرة .

قاطعته خجلة :

- علام تلمح ؟

من المرجح أن كل من بالمنزل سمعها وهي تتكلم وأرادت أن تضيف شيئا حينما أحست بالباب يفتح من وراء ظهرها ودفعها سام برفق إلى الداخل وأضاء النور .

بهرتها ديكورات الحجرة ، كانت تتخيلها حجرة مليئة بذكريات المراهقة والطفولة كان تحتفظ بها الأم بإعزاز ولكنها بالفعل حجرة رجل ناضج مؤثثة بوقار جدرانها فاتحة وتغطي نوافذها ستائر سميكة ، واطمأنت هنه وسألت :

- هل كل شيء على ما يرام ؟ هز رأسه بنعم ولم يخف ارتباكه . أبدا لن تكون له مثل شجاعتها ، وعليه على الأقل أن يكف عن التصرف كالمجانين هي رأته جبانا وقد أخجلها ذلك .

وعلى الأقل يجب أن يعتذر لها عن تصرفه المبهم إن لم يستطع أن يكتسب احترامها وحبها ، وفعلا بدأ :

- إني إني آسف وضعت هنه إصبعها على فم سام وقالت :

- لا ، أنا التي يجب أن اعتذر ، ليس لأني قدت هذه السيارة فهذا كنت سأفعله حتما ولكن ما كان يجب أن أقود على هذا الطريق لو كنت أعلم كم يجرحك هذا أجابها أعرف .

فطن سام إلى أنها على علم بكل القصة وتساءل إن كان تريفور يستحق منه الشكر أو اللوم لاطلاعها عليها :

- إني حزين أنا بالغت وجعلت من نفسي هزأة ... مرة أخرى .

- لم أرك هزأة .

- أتعتقدين ؟ ألم تعتبريني جبانا ؟ ردت وهي تجلس على حافة

السرير :

- أبدا . أنت رجل محترم ، محترم جدا مر بتجربة فظيعة لا أستطيع أن أتخيلها حتى الآن !

ونظر إليها لكنه غض النظر بسرعة ، لو كانت هي لتصرفت بجراة أكثر وسألته :

- كيف كان "چو ماللييني" ؟

وأدرك "سام" أنه لم يفكر أبدا في وصف صديقه وأنه لا يعرف الإجابة . وحاول قائلا :

- كان ... مميزا ، وأحس بحاجته للتحدث

وكأن هذه الكلمات فتحت سدا ، معطية فرصة لتدفق الذكريات والمشاعر ، وتمدد على السرير وتبعته "هنه" لم تدرك كل ما يقول لكنها لم تقاطعه وقد أسعدها أن يتخفف رويدا رويدا من هذا الحمل .

وبدأ وجهه يصفو . تحدثا طويلا . ولم تعد "هنه" تشعر بكفه اليسرى وهو يسند رأسها حتى الساعات الأولى من النهار وهو ما يزال يحكي لها حكايات مسلية ونكات عن "چو ماللييني" . وتسللت نسمة باردة من النافذة نصف المفتوحة وغاصا تحت الأغطية ورصا حولهما الوسائد الصغيرة . ولم يكف "سام" عن الكلام بعد وطال الكلام حتى سباق "مارتنڤيلل" . ونظر "سام" إلى "هنه" فوجدها نعست تقريبا ، همس لها وهو يبعد برفق شعرها الذي كان يغطي وجهها :

كم أنت جميلة !

- نعم ؟

قال بصوت خافت :

- أحبك .

- أنت ... أنت لم تكد تعرفني

- أعرف ما أحتاج معرفته " قالت وهي ترفع رأسها :

- لا أنت تعتقد ذلك . أنا كنت ... لطيفة معك وأنت تراني جميلة ، وأنا لم أظهر لك إلا حسناتي .

لي مساوئ ايضا .

- حقا ؟ حسنا ، أتعتبرين العناد والإصرار ميزة أم ماذا؟ أجابت مبتسمة : ميزة .

- والذين لا يعرفون الهروب من الخطر ؟ والذين على العكس يحتقرونه ؟ أهذا ميزة أم لا ؟ وسألته :

- فرسان سباق السيارات مثلا ، أعتقد أنه ميزة .

- أو تعتقدين أنها ميزة نافعة للمصور الفوتوغرافي . وانتظر أن تدرك معنى سؤاله .

دس "سام" رأسه في شعرها المعطر الطويل وهو يدغدغ جيدها ، ولم يسمع إجابتها . وهل تكلمت ؟

بلا شك بضع كلمات . وأغلقت عينيها واستسلمت له .

وعندما لمع القمر والنجوم في كبد السماء وبعد مدة مد "سام" ذراعه وأضاء النور وتساءل وهو يحوطها بذراعه: أي امرأة جعلته في مثل هذه السعادة ؟ ! وهام في أحلام اليقظة في اللحظات التي تصل بين النعاس والاستيقاظ :

- أي امرأة أخرى .. ؟

أضاءت "هنه" حياته كالشمس عند شروقها . أمدته بالأمل والتعزية وكل ما كان يتوق له قلبه . عينت له الهدف والباعث للاستمرار . وكان الماضي يخبو وبدأت حياته في مساء أول لقاء .

حتى موت چوماللييني بدا كالحلم أو حتى كالوهم ، لا ليس وهماً وإنما ماض بعيد ، وكان كل كلمة نطقها ليصف بها الكارثة ساهمت في تحطيم قيود القلق والمأساة التي كانت تخيفه منذ ذلك الحين .

واقترب منها . وتنفس عطرها وغرق في نوم عميق وأحس أن جراحه لم تعد تدمى . واسترجع سباق "مارتنڤيلل" . لم تعد الرؤيا حزينة ، ولكنها شيء صار لامعا مشمسا . كانت "هنه" بجانبه ، جميلة ، جميلة جدا . وفي أذنيه زمجرة المحركات كالسيمفونية . وأحس بهذه القوة العظيمة تحت يديه ومط كتفيه وخفق قلبه . هو سيقود من جديد .

الفصل الثامن

كانت الأسابيع التي تلت زيارة "هنه" للمزرعة ملؤها النشاط والحركة الدائبة ، حارة رائعة . لم تعرف "هنه" مثل هذه السعادة من قبل .

كان عليها أخذ صور للكتالوجات ولم يزل وكيلها يزعجها بموضوع "جاليري مريت" ولكن صورة "سام" التي لا تفارقها جعلت كل شيء محتملا ، فانتظارها لليل الذي يجمع بينهما هون عليها عمل أي شيء بالنهار .

وتقدم سام بخطى واسعة في تعلم لغة الإشارة ، كان لا يزال يرتبك لكنه يضيف كل مساء إلى حصيلته إشارتين أو ثلاثا ويريها إياها . بل هو لا يتعلم إلا هذه . واكتشف ميزة أنه يحب شخصا لا يسمع ، لقد جن جنونه يوما حين عجز عن إبلاغ "هنه" عن عائق ما وكانت الوسيلة الوحيدة هي أن يذهب إليها ليقول لها : إنه لن يستطيع المجيء إليها ، واكتفى بأن ترك لها رسالة على مسجل "كلويه" يرجوها فيه أن تعود لبيتها قبل السهرة .

أما عن السينما والموسيقى ، ففي الأولى يلزم أن تكون بقرب الشاشة كي تستطيع أن تقرأ الشفاه ، وهو فاقد الأمل في أن تشاركه حبه للموسيقى إلا إذا كانت عنيفة حتى تشعر بذبذباتها ، هي تظل بجانبه تنشغل بأي شيء آخر ، ساكنة هادئة ، بينما يستمتع هو بسماع أسطوانة أو يشاهد الفيديو ، لم تكن "هنه" مستاءة من انهزام "سام" في مواجهة مشاكل الحياة اليومية .

وأرادت له أن يتعود الشعور بأشياء لا تستطيع هي أن تدركها فذلك ليس بالضرورة سيئا ولا مخجلا ولا محزنا ، فهما يتقاسمان آلاف الأحاسيس والانفعالات : جمال الطبيعة ، الروائح والعطور والضحكات ، ولكن توجد أيضا أشياء مهمة جدا لن يستطيعا تقاسمها ويجب أن يعتاد ذلك .

هو يقول لها كثيرا : إنه يحبها وهي تعرف أنه يريد أن يسمعها منها أيضا ، ولكنها ترغب بشدة أن يفهم أن الحياة بين اثنين لن تكون دائما سهلة مهما كانت نوعية حبهما .

مرت هذه الأسابيع ممتعة بفضل "سام" الذي يتعلم ويتقبل الحياة مع "هنه" ، "هنه" المرأة الصماء . "هنه" المصورة الطموح حتى منتصف يوليو كانت "هنه" قد حضرت ثماني سباقات مهمة في كارولينا الشمالية والجنوبية وفلوريدا ودالاوور ونيوهاميشاير وچورچيا وتنيسيه . ولم تكن حلبة سباقات مارتنفيل مثل ما رأته بعد ذلك فالطرق أطول والمنصات أكبر ومكدسة بالمتفرجين في أيام السباق والمنابر أكبر أيضا . واندمجت "هنه" أكثر فأكثر مع فريق الميكانيكيين وهي تمزح معهم كثيرا .

وأعجبتها جدا الحياة الشيقة لقائدي السيارات والميكانيكيين في موسم السباقات . هم يسافرون إلى مقر السباق الأربعاء ويخصصون الخميس للتدريبات الخاصة والجمعة للتدريبات الرسمية ، يجرون السبت ويعودون إلى الحظيرة الأحد .

أما "سام" و "هنه" و "كلويه" فهم يحاولون التوفيق للسفر معا حسب جدول أعمالهم وأصبحت الرحلة مرحة خصوصا حين ينضم "تريڤور" إليهم ، وعلق "تريڤور" على شعر محظيته :

- هذه الرطوبة القظيعة اثرت على شعرك ، وكانه .. كث اكثر من العادة

لم يتبادلا ابدا كلمة لطيفة ، واصبحت هذه هي القاعدة عندهما لذلك لم يفاجا احد عندما ارتمى عليها واخذها بين ذراعيه وطبع قبلة مسموعة على شفتيها منتشيا من السباق الذي فرغ منه للتو.

هذا هو "تريفور" حقا ، ولم يصدم ايضا حين ركلته "كلويه" في بطنه توقيع "كلويه".

كانت الحلبة متسخة وحارة تفوح منها رائحة الكاوتش والوقود والزفت الساخن.

كان من عادة فريق "مالليني مالكينون" ان يركن الشاحنة في داخل ارض السباق لذا انصرف كل إلى عمله.

واسرع الرجلان لينضما إلى الميكانيكيين في الموقف بينما ذابت المراتان في جمع المشاهدين.

وبعد عناء وافق "سام" ان تتصرف "هنه" بمفردها في البداية ، اصر ان ترافقها "كلويه" كي تساعدها وتحميها لكن بعد قليل تغير الحال ، فلم تتعود "كلويه" ان تخفي تضررها إذا لم يكن لها من عمل سوى مراقبة "هنه" وهي تاخذ صوراً ، لذا كانتا تفترقان بعيدا عن اعين "سام" . وذات يوم اخطاتا فعادتا منفردتين إلى الموقف ووصلت "كلويه" - اولا ، فسال "سام" وهو يثبت النظر على "هنه" :

- "وماذا ستفعلين لو لم تسمعي سيارة مسرعة وراءك" ثم اضاف :

- ولو تعقبك شخص مفرط في شراب" وإذا .. وإذا ... وإذا ... في مثل هذه الاماكن انت معرضة لمئات الحوادث ولن أستطيع التركيز في السباق إذا علمت انك في وسط الجمع دون سند أومعين وقت اللزوم!

وظل يسوق الحجة تلو الأخرى ويكرر ويطيل حتى قربت "هنه" أصابعها من خدها بحركة حلاقة الذقن

- إنها إشارة دولية ، اليس كذلك" الكل يفهمها!

وغادر "سام" بعد ان قبلت هي قاعدة بسيطة ، ان تظل خلف حواجز الأمان حتى نهاية السباق حتى ولو لم تكن هناك سيارات ، وإذا

وقعت على الحلبة وهي تلتقط صورا ، يسارع اعضاء الفريق إلى إعادتها باقصى سرعة خلف الحواجز ، وفقط بعد ذلك يسالونها إن كانت تشكو من الم.

لم يستطع "سام" إلا ان يقلق عليها ، قلقه يظهر على وجهه عندما تبتعد هي في وسط الجمهور قبل كل سباق ، ولكنه لم يحاول بعد ذلك أن يوقفها ، ولم تعد "هنه" تفكر إن كان قلقا أم لا .. او بمعنى أصح هي لا تكره ذلك بل إنها تحب ان يفكر فيها وان يهتم بامانها.

ثم إنها لم تفقد الإدراك حتى لا تعترف انه على حق قليلا ، فالحلبة خطرة فعلا وللصم خاصة ، وبالإضافة إلى السيارات والناس فهناك كثير من الفخاخ تنتظرها إذا لم تنتبه ... هي في بيئتها عندما تكون وسط الناس ، مع كل هذا الجمع هي في غنى عن السمع وعن الكلام ، ممكن أن تمر غير مرئية وغير معروفة ، غير ملحوظة وعديمة الأهمية. هي تخطف صورتهم هنا وهنا ثم تختفي وهذا ما تفضله وهي شغوف بذلك.

الناس ، الوجوه ، التعبيرات والهيئات ، ناس المدينة والأجانب ، السادة ذوي البزة من ثلاث قطع والأمريكان البرجوازيين وشجعان الريف والحناءة اكتافهم التي تحكي قصة حياتهم وافكارهم الخفية التي تفضحها حركة او إيماءة وجه ، هذا ما تعشقه "هنه" ، أن تراه ، تفاجئه ، تنتزعه بصورة فيها عيوبهم وصدقهم الخفيان ، توحدهم أيضا ، الذي يشبه توحدها هي توحدها توحد التائهين وسط أمثالهم.

هم يعتقدون انهم بعيدون عن العيون فيندمجون مع أمثالهم وسرعان ما ينسون الدفاع عن انفسهم مادامو اصبحوا واحدا وسط مئات أمثالهم إن الة تصوير "هنه" تاسرهم ، فهي تمر في وسطهم بريئة وتمسك لحظة غيرة أو كره أو رضا او سرور او غرام أو حزن أو الم أو ضحك أو غضب

كل هذه اللحظات ، هذه الكليشيهات التي تتكلم عن الإنسانية المعقدة مما يجعل من الحياة معجزة.

بالعكس كانت الصور التي طلبها منها "سام" سهلة التصوير.

واستخدمت "هنه" عدة افلام لتصور "تريفور" على عجلة قيادة "الماليني ماكينون" الحمراء الزاهية ،وبعد السباق اخذت صورا اخرى من المدرج .

وسجلت بكل تواضع انتصارها العبقري مما يبرر ما صرفه "سام" من مال كثير .

ومثل عملها الباهر في صور "بوز اليوت" بين الجبال - كانت تريد "هنه" ان تظهر "تريفور" في احسن حالاته ، لم يعن ذلك ان تجري إلى جانبه اثناء السباق ولم ترد ان تصوره اثناء حصة تدريب لان الانفعال وتوتر السائق مختلفان .

لا ، هي تريد صوراً حقيقية شيء غير افلام الكليشيهات في الشبحية المسافية التي تعودت عليها .

هي تريد الإثارة والشد والخوف . ومثل عملها في مجموعة صور "بوز اليوت" هي لا تريد ان تعرض حياتها او حياة الرياضي للخطر . بالفعل هي لم تتسلق هذه الحافة الراسية كما اعتقد "سام" في مكتب جاري شروين .

فقد كان يحجزها حبل قنب من الفولاذ مثبت في قمة الحاجز ، شيء مخيف لكنه امن للغاية . ولتصوير "تريفور" ثبتت الة تصوير في داخل كبينة القيادة ، وكي تجد الزاوية المناسبة استغرقت الكثير من الوقت ، تماما تحت التابلوه الامامي مواجهة للسائق . واختارت لذلك الة اتوماتيكية وضعت إليها نظاما يلتقط صورة كل ستين ثانية ، ولم تجد غير الضوء الطبيعي لان الفلاش قد يعمي السائق اثناء السباق ولكنها لم تجد وسيلة للتحكم في ذبذبات السيارة ولم يبق لها إلا ان تصلي وتدعو ان تفوز من بين الكم من الصور بصورة جيدة .

وواجهت "هنه" ايضا صعوبة اخرى وهي ان تقنع ذلك الرجل الطيب والعنيد جدا "فرانك هوفمن" الا يبدد بضع ثوان ثمينة في تفريغ وإعادة شحن الالة واخيرا اتفقا بعد العديد من المجادلات .

سيعاد شحن الة التصوير ثلاث مرات طول مدة السباق على مدى خمسمائة كيلو متر لسباق "شارلوت" وفقط إذا لم يجازف "تريفور" بالتقهقر ، الا يكفيها ذلك ؟

لم يكن سباق "شارلوت" اسوا من غيره كي تؤخذ الصور من المنصة اثناء الجري .

وللأسف لم يسمح إلا لست رجال بالوجود على المنصة في نفس الوقت ولم يرغب اي منهم في مساعدة "هنه" ، ثم هي لا تنسى ، حكم "سام" ولم يكن في نيتها ان تعارك الميكانيكيين الذين كانوا يعملون عند حائط الحماية ، كل المجلات ستنشر ذلك ، فـ "هنه" الكسندر" ترمي إلى شيء مختلف .

كانت منصة سباق "شارلوت" تماما على يمين مركز الصحافة الذي يعلو الحلبة بحوالي عشرة امتار . وضعت "هنه" المكعب الضخم من "الكتل الخشبية" والزجاج على ربطة اسياخ من الفولاذ .

ولم تجد ان هذا الوضع يتعارض مع ما هو مسموح به على المنصة .. وإذا كانت المنصة تتحمل ثقل مركز الصحافة فستتحمل ما نصبته .

كان "سام" يرقب بهلع- دون ان يتدخل - المراة التي احبها وهي تتسلق الأسياخ الصدئة من واحدة لاخرى وتتسلق السقالة التي تعلو المنصة . اعلى فاعلى وارتفع العلم عند مرور المتسابقين . وعندما تراص الفريق لاستقبال "تريفور" عند توقفه القادم كانت "هنه" على ارتفاع خمسة او ستة امتار على الاقل من الأرض .

وسمع "سام" عبر الراديو اخاه يخبره ان كل شيء على ما يرام وانه سيعود إلى المنزل ليشرب قدحا كبيرا من الشوكولاتة ، بمعنى ان السيارة كانت تجري جيدا جدا ولكنه سيتوقف في الموقف للتموين بالوقود .

حبس "سام" انفاسه وانتظر ، هو ينتظر ان تصل السيارة ان ترتعش الصقالة وتنهدم فتزلق وتقع وهو يتوقع ان يحدث كل ذلك معا .

اوقف "تريفور" سيارته السريعة امام المنصة . وفي الحال التف حوله الميكانيكيون كالخلية . اما "سام" فهو في قمة التوتر يتخيل ان "هنه" ستفقد توازنها بينما هي تتشبث بيد واليد الاخرى تتكتك بعصبية .

واستانف "تريفور" السباق ، ونزلت "هنه" برفق من مجثمها . وعادت الدماء لوجه "سام" أكثر من ذي قبل .

واحمر وجهه بعد أن كان مخضرا ، ونفث بين أسنانه :

- يا إلهي! ألا تخشين شيئا ؟ !

- كل الناس تخاف من شيء ما !

والتفت "سام" فجاة ليجد وراءه "كلويه" مستندة إلى مجموعة إطارات ، وتفرست بفضول ثم أدارت عينيها بعيدا كمن ندم على ما قال ، كان "سام" مشغولا أكثر من توقفه لسؤالها عن "هنه" هو على يقين أنها ستظل مخلصة لصديقتها منذ ليلة "شاطئ فرجينيا بيتش" ، وحتى هنا ، هي تعطي انطباعا أنها تفضل أن يلتصق لسانها بحلقها قبل أن تبوح باسم من هذا الذي يخاف .

ولماذا . استمر "سام" في متابعة السباق ولكن كلمات "كلويه" كانت تطن في رأسه .

مم تخاف "هنه" ؟ هو اعتقد دائما أنها لا تخشى أشياء كثيرة. وهو هنا شاهد عيان على شجاعتها البدنية . هو يعرف أن حساسيتها سبب بعض آلامها ولكن طبيعتها الحلوة في أن تتفتح للآخرين وتهتم بهم لم تحطمها عاهتها . ولاحظت إراداتها في أن تندفع بقوة في علاقة شخصية لها مخاطرها ، هي لم تعترف له بحبها ولكن مع ذلك هي هنا اليوم بجانبه ... ولم تبد أبداً جفلة ، ماذا تخشى إذن ؟ وهذا التوحد المريع لم يرعبها ، وتذكر حادثا غريبا وقع منذ ليال مضت .

في مزرعة "ماكينون" وبعد أن غادر معظم الرجال "البوتيك" وكان هو و "تريفور" يتفحصان ناقل حركة جديدا، نزلت "هنه" بعد الغداء لتثبيت آلة التصوير داخل السيارة ، وتسلى الميكانيكيون كثيرا وهم يرونها تدخل وتخرج "تريفور" المسكين إلى كبينة السيارة أكثر من عشر مرات حتى تختار أفضل زاوية لها ، وعلق "تريفور" وهو يخلص نفسه

بصعوبة من السيارة :

- " أمل أن يستحق ذلك كل هذا العناء .

- لا تحمل هما . سنطبع وجهك على غلاف كل مجلات الكوكب، ستحب ذلك . أليس كذلك ؟ تمتمت "كلويه" مع ابتسامة وقحة :

- هو يحيا لهذا فقط !

وأضافت "هنه" بلهجة جادة :

- كل ما أطلبه منك هو ألا تجعل السيارة تهتز كثيرا . أظن أني لا أطلب المستحيل . أجاب "تريفور" بسرعة وهو يدير عينين مذعورتين كي يسلي جمع الميكانيكيين الذين كانوا ينظرون ، وبعد أن انتهى العمل ، وغادر الجميع المكان.ترك الأصدقاء الأربعة المزرعة مخلفين "فرانك" ليغلق البوتيك وحده ، وتذكرت "هنه" فجاة وهي في منتصف الطريق أنها نسيت شيئا مهما ، شيئا متعلقا بالفيلم وطلبت منهم أن يسبقوها في العودة وأنها ستلحق بهم بعد لحظة .

كان الممر بين المنزل والبوتيك مضاء جيدا والمسافة بينهما ليست طويلة ، ولما تأخرت "هنه" في العودة ، قلق "سام" وذهب للبحث عنها، ولم تسمعه وهو يفتح باب الجراج . كانت جالسة ، ظهرها إلى المدخل ضامة ساقيها المثبتتين بذراعيها ، وجزع "سام" وهرع إليها بعد أن أضاء مصابيح السقف :

- " ماذا حدث ؟ هل سقطت ؟

أجابت ضاحكة :

- " لم أسمع "فرانك" وهو يغلق البوتيك ، كنت من الجهة المقابلة للسيارة أتمم على الفيلم وفجاة أطفئت الأنوار . وناديت ولم يسمعني أحد...

- " لكن .. ماذا كنت تفعلين في أرضية المكان ؟ أهناك شيء ؟

- " لا .. كل شيء على ما يرام .. ولكن .. عندما أردت أن أصل إلى

تابلوه الكهرباء وابتعدت عن السيارة فإني .. إني ضللت طريقي بعض الشيء " وقطب "سام" جبينه ولم يفهم . فشرحت قائلة :

- لم أر شيئا وعندما لا تسمع أي صوت - صوت أقدامك أو أي صوت آخر - ليرشدك في الظلام . فإنك لا تدري إن كنت تمشي على الأرض أو الحائط أو حتى السقيفة ودار رأسي وقررت أن أجلس بدلا من المخاطرة بالسقوط وأن أنتظر وأن أنتظر ربما اشتاق أحد إلي .

لكن كل شيء على ما يرام تماما . ومع ذلك أعترف أني كنت سأخاف إذا لم أكن أعلم أنك أنت و"كلويه" تقلقان علي !

وانزعج "سام" . أيوجد أسوأ من هذا ؟ أن تضطر في كل أيام حياتك لمواجهة مثل هذا الكبت والحرمان الذي يسببه لك .

الصمم ؟ أن تضطر أن تعارك لتتخطى هذا العائق ؟ أن تعارك أحباءك كي تحمي حريتك الشخصية ؟ أي حياة أتعس من هذه ؟

والقى "سام" نظرة إلى "كلويه" وأدرك أنه جاوز تقدير تعليقها فـ"هنه" لها مشاكلها ولكنها مثل الجميع . تعرف كيف تتغلب عليها . لكن الخوف ؟ الخوف الحقيقي ؟ لا . بدون أدنى شك .

الفصل التاسع

صاحت "هنه" وهي تتجه إلى باب الحجرة السوداء .

- أنت لا تستطيعين أن تؤجلي قراراتك طول حياتك !

كانت "هنه" بالداخل والمصباح الكهربائي الأحمر مضاء فوق الباب . هذا محرابها . هي قد تختفي هنا ساعات طوالا في هذه الحجرة المظلمة وهي تعلم علم اليقين أن أحداً - ولا حتى "كلويه" - يجرؤ على الدخول وإفساد الكليشيهات . واستطردت "كلويه" :

- إنها فرصة عمرك . لماذا لا تستغلينها . تستطيعين على الأقل أن تقولي لهذا الشخص إنك لا تهتمين به وتطلبين منه أن يتركك لشانك !

ولم تكن "هنه" في حاجة أن تقرأ على شفتي "كلويه" كي تعلم رد فعلها . فهذا هو الإخراج رقم عشرون لنفس الشكوى تشكلها لها "كلويه" كل يوم منذ حوالي ثلاثة أسابيع معاً . لقد بدأ "بيتروطسن" يفقد صبره بشان "جاليري شيللا ميريت" . لو كانت مكانه "كلويه"

www.elromancia.com

لصرخت من الغيظ . لكن ما الفائدة ؟

وأيضا لكانت زحفت إلى "جاليري ميريت" لتريه عملها لو هي في مكان "هنه" ، واحست "كلويه" بالرغبة في الكلام ولو إلى نفسها واضافت وهي تنظر بغيظ إلى النور الأحمر :

- لا افهم لماذا لا تريدين أن تظهري مواهبك ؟ انت موهوبة ، اكاد أجن ! . أنا .. اخرجي من هنا ، وعندما ..

وانطفأ النور الأحمر فسكتت "كلويه" أخيرا . وفتحت "هنه" الباب وخرجت ودهشت حين رأتها واقفة ، مكتوفة الذراعين وعلى وجهها تكشيرة كبيرة وهي تصيح غاضبة :

- لا تسخري مني .

- ماذا ؟

- الآن ، ستقعين في مشاكل جمة ، مشاكل جمة !

- ماذا أيضاً ؟

- اتصل بيتر وتكلم مع جاري شيرون الذي أخبره أن صورك لكتالوج "سام" هي عبقرية وطلب منه أن يجد لها مكانا لعرضها وأن مثل هذه الموهبة يجب أن يراها العالم . أوه ؟

كفى كفى استهزاء ، أنت تعلمين جيدا كم هي ممتازة هذه الصور ، وتعلمين أيضا أن "جاري سيطير بها فرحا . والآن عرف "بيتر" أنك انتهيت من هذا المشروع ، لقد عرف جدول أعمالك .

وإنك لن تجدي عذرا لعدم الرد عليه .

واختفت الابتسامة من صفحة وجه "هنه" وبدت مرهقة للغاية وقالت:

- أريد ، صادقة ، أن يتركني وشاني ... أنا لا أرغب في الرفض.. ولكن هذا لايدفعني للقبول .

- حسنا ، انظري ! الأمر جد بسيط تفتحين فمك وتقولين : " نعم ،

أين المشكلة في هذا ! "

- لا أعرف ، أريد ... لهذا أنا عملت طويلا ... هذا ما حلمت به.. ولكني أعيا حين أفكر به .

- إنها أعصابك ! حسنا أنت عصبية ، هذا كل ما في الأمر ، ولكن ستنسين كل ذلك حين تلمسين مدى النجاح الذي سيحققه هذا لك ، ستتفهم صورك . لن يكف الناس عن طلبك وعن الطرق على بابك كي تعملي معهم . ستشتهرين .. وربما تثرين. ستصدر كتب عن صورك يا "هنه" !

ثم ... إلى القمة ، لم تخسري شيئا ؟!

ماذا ستخسر ؟ وأيقنت "كلويه" أنه لا جدوى ولن تحصل منها على إجابة فسألتها أخيرا :

- في أي ساعة سياتي "سام" و "تريفور" لاصطحابنا ؟

- في السابعة .

- سادخل لأستعد ... هيا . استعدي أنت أيضا . هم يحتفلون اليوم بانتصار هذا المساء فوز فريق "مالليني ماكينون" ! لا تفكري إلا في هذا فقط .. سيكون في الغد متسع من الوقت للرد على "بيتر" ،ظلت "هنه" تومئ نعم برأسها مع أن "كلويه" غادرتها من بضع ثوان . هي تريد أن تريح عقلها وأن تطرد الأفكار التي تحاول تجنبها منذ عرض "جاليري مريت"

ماذا ستخسر؟ لاشيء . لو كان العرض نكبة فليكن ، لن يهمها . فلن تفقد كنزا . لن تفقد أفضل أصدقائها لذلك ولن تصبح أكثر فقرا مما هي اليوم ، ومع ذلك يخيل لها أنها لو كشفت عملها للعامة ستفقد كل شيء ، وفتحت البوما كبيرا ، ليست هذه مجموعة الصور التي تريها لزبائنها الجدد عند لقاء العمل ، وضعته على المنضدة وفتحته باصابع مرتعشة ، هنا مجموعة أغلى ما في حياتها كل صورة ، كل

كليشيه عزيز جدا على قلبها . لا تزال تتذكر بالضبط مكان وتوقيت التقاطها . وهي تعرف - تماما ما تعنيه لها كل منها - كل صورة كانت تحكي حقيقة ، بدون ألفاظ ، بدون كلمات . كل صورة علامة نجاح ، كنز عزيز.

ورصت مجموعة الصور على المنضدة وأخذت ترصدها بموضوعية. يقينا هذا نجاح ساحق . ودق قلبها فخرا والما يقينا حتى كاد يقفز من ضلوعها ، ولكن أيضا بسبب شيء آخر لم تتبين كنهه ، شيء يخيم على جمال هذه الكليشيهات يدفعها أن تعيد الصور بسرعة إلى الألبوم والا تخرجها ثانية منه .

وكان شيطانا يترصد تمزيقها . فجمعتها في عجلة ولم تسترح إلا بعد أن اتخذت مكانها بداخله ، في الظلام .

هي لا تستطيع أن ترى هذه الصور لشيللا ميريت ، لا لا تستطيع ، مستحيل .

غدا ، ستذهب إليه لتخبره أنها ترفض العرض الذي يقدمه لها ، سيجن جنونه .

وعليها أن تجد عذرا قويا ومقنعا للغاية ، ولكنها قررت. جزء من نفسها يميل إلى البكاء .

وجزء آخر تخفف أخيرا من حمل لا يطاق . وألقت نظرة أخيرة على الألبوم وصعدت لتبدل ملابسها .

بعد بضع ساعات ، قال "سام" موجها كلامه إلى "كلويه" و"تريفور" وهو يتبع "هنه" بالمنزل :

- اسمعا ! اذهبا بعيدا ، إن أردتما الشجار .

- يا أخي العزيز ! كن لطيفا . إن "كلويه" لا تعرف البتة ماذا تفعل مع رجل في الليل حين يكتمل القمر .

علمها أنت و"هنه" . وعلقت "كلويه" وهي ترفع رأسها إلى السماء:

- ياغبي . القمر ليس إلا محاقا لم يكتمل بعد .

- أرأيت .. ليس عندها أدنى حس رومانسي وإلا لكانت أغلقت فمها الجميل وتركتني أعتقد أني نجحت في خداعها وأقنعتها باكتمال القمر .

- يا منحرف ! أمع مثل هذا النوع من النساء تحب أن تخرج ؟ هذا لا يدهشني !

- منحرف ؟ ! اسمعي يا آنسة يا ذات الشعر المشعث . سوف أشرح لك ...

ولم يرغب "سام" ، لم يرغب أن يستمع إلى بقية محادثتهما . سيستمران في تراشقهما اللانهائي . هو عامة يجدهما مسليين حين يغتاب بعضهما البعض ولكنه يتساءل دائما لماذا وهما لا يكفان عن الشجار ، أصبحا رويدا رويدا متلازمين ؟

وانفجرت "هنه" ضاحكة عندما سألها ذلك وشبت على أطراف أصابعها لتقبله وهو مقطب الجبين :

- يا لخبثك ! لم يجبر أحد "كلويه" على المجيء معنا ، ألا تعرف ذلك؟ مع العلم أنك لا تحتاج لمساعدتها بما أنك تقدمت جدا في لغتنا ، ثم من أين جاءت هذه الفكرة الجميلة أن نحتفل بعد كل سباق سواء فزتم به أولا ،على أن تكونوا من العشرة الأوائل ؟

- إنه "تريفور" ، بدأت أدرك مقصدك!

- ولماذا لا يحتفل مع باقي الفريق بدلا منا ، لـ"كلويه" وأنا ؟ وأضاف "سام" :

- ولماذا يصر على أنك ستكونين في أحسن حال إذا كانت "كلويه" بجانبك مع أنها تقضي وقتها في التشاحن معه ؟

- أفهمت الآن ؟ سافل أنت . لقد لاحظت هذا منذ البداية لكنك لم ترد أن تفكر به. أليس كذلك ؟ أتريد قليلا من الشاي المثلج ؟

www.elromancia.com

- بكل سرور أيها الشرطي السري .

- هل نرشهما بالشاي المثلج ليهدأ .

- لا أعتقد أن هذا كاف ، يلزمهما رشاش أو حتى دش .

- حسنا ، أنا لا أجرؤ على ذلك ، لذا دعيهما في حالهما ، حال تعودا عليه . الأفضل أن تريني كليشيهاتك الأخيرة . هل اتسع وقتك لتحميضها ؟

كان "سام" يتكلم عن صور ليست ذات أهمية ، صور عائلية أو صور الفريق أخذتها في الصيف كليشيهات غير فنية ، صور محترفين، هي ذكرى ، ذكرى صيف ملتهب سعيد ، ذكرى حب .

قالت مبتسمة :

- أوه نعم ! حمضتها أخيرا هي على منضدة الاستوديو ، في ظرف كبير ، من فضلك اذهب وأحضرها . ستريها لـ"تريفور" ، في إحداها هو يقبل "كلويه" وهي تكره هذه الصورة :- ألا تخجلي ؟ انت تلقين بالبنزين على النار ...

ومد لها لسانه ثم غادر الغرفة . وما إن خرج حتى سمع "هنه" تناديه واستدار قليلا :

- أتريد .. أتريد سكرا في الشاي ؟

- نعم .. نعم شكرا!

- لم أكن لأفهم إجابتك بدون أن أراك .

- هوم ! ولكن هذه فضيحة ، أنت تستطيعين أن تصرخي بندائي بكل المنزل ولكن علي أنا أن أوجد أمامك وأن تنظري إلي كي أجيبك !

قالت :

- أعرف ، ألا تجد ذلك رائعا ! إن معظم الزوجات لتعطين أي شيء مقابل مثل هذا العذر الجميل لتعذيب أزواجهن .

- عم تتكلمين ؟ زوج ، زوجة .. تريدين أن تخبريني بشيء ؟

- مثل ماذا ؟

- " إنك مثلا تحبينني ؟ " أجابت موافقة وهي تدفع برفق ذراع "سام" الذي طوق خصرها :

- ربما . استقم واذهب لإحضار الصور . إن مكعبات الثلج توشك أن تذوب .

- حسنا ، لكنك لم تنجي من المازق يا مدام "الكسندر" . سنستانف هذه الحادثة الشيقة قريبا .

عندما وصل "سام" إلى الاستوديو لم يجد ظرف الصور إنما ألبوما كبيراً . ودفعه الفضول لا التطفل إلى فتحه وأخرج الصور الواحدة تلو الأخرى . لم يكن بها شيء غير عادي ما عدا أنها عرضت للنور بإفراط ، يهيمن عليها عنف ووعيد . يظهر في بعض الكليشيهات مجموعات أشخاص في تصوير غاية في الصفاء ، غاية في الحيوية ، محدد للغاية حتى إنك لو رأيتهم يتنفسون ويواصلون أحاديثهم كما فوجئت . لم تكن التعبيرات مصطنعة . وعلى كليشيهات أخرى ماكينات تعمل وأيضا حيوانات . وتمتم حين فهم ما اكتشفه توا .

- يا إلهي !

إنه العالم الخاص جداً ، العالم السري لـ"هنه" ، ما تراه ولا تستطيع سماعه ، كلاب تعوي في سكون ، نار تضطرم ، محركات تزمجر ، رجال يبكون ويحلفون ، خازوقة ألم ، وأطفال يهمسون بخصوصياتهم في آذان أصدقائهم ، صرخة مولود . كل هذا الذي يتكلم ويضج ويقول وينتج في عقل "سام" صوتاً مميزاً وضوضاء . كل ما لا تسمعه هي .

وخيل إليه أن الصمت يغشى الحجرة . صمت تام ، صاف ، فظيع . وهذه الصور تتكلم بدون ضوضاء ، تعبر بدون نغم وتخلق انفعالا ماكراً دون أدنى صوت . وكأنه يرى العالم عالمه هو في الكرة البللورية الضوضاء والأصوات هنا ، هو يعرفها ، يجب أن تكون هنا . ولكنه

لم يكن هنا غير الصمت المطبق، وأحس انه متوحد وشريد أكثر توحدا مما شعر في أي وقت من حياته وذعر ، ذعر لدرجة انه قفز في الهواء وحين سمع صوت "هنه" .

- ماذا تفعل ؟

وتقدمت وحين رأت الصور مرصوصة على المنضدة ، لم تنطق . ولم يبد عليها أي تعبير . سألها :

- إذن ، هذه هي ، أليس كذلك ؟ عالمك ، ما ترينه ولا تسمعينه.

نظرت "هنه" إلى صورها الثمينة جدا والمليئة بالمعاني بالنسبة لها هي فخرها ومصدر قلقها ، هي في عمق حياتها وتعبر أصدق تعبير عن ذاتها . إذا لم تواتها الشجاعة أن تنكر . وأومأت نعم برأسها .

صرخ "سام" وقد انعقد لسانه .

وغير معقول ! أنا ....

هي ... من فرط صدقها . من فرط واقعيتها فإني إني اسمعها يا "هنه" ! أعرف أن ذلك قد يبدو جنونا لكن ...

- لا ... مفروض أنك تسمعها بالتأكيد . لست أصم .

لم ير هذه الصور غير "كلوية" و"بيتر" و"سام" أول من سمعها وفهمها. ورمقها بنظرة ، نظرة عميقة ، طويلة طويلة وهو يتأمل لون عينيها العجيب ، هذه العيون التي سحرته منذ اللقاء الأول ، كل هذه الأحاسيس التي مرت به في لحظة السكون الغريبة تلك الآن ، هذه المشاعر الممزوجة بالفخر والغضب ، الرقة والألم ، الضحكات والدموع، هذا الجمال هذا الصفاء هذه كلها في نظرته إليها .

(وأحس انه يحترمها كثيراً ....)

- ماذا تفعل ؟

أحس انه يحترمها كثيرا ، يحترم شجاعتها وقوتها . وتألم قلبه بكثير من الحب كثير من الإعجاب أيضا .

وخفض عينيه إلى الصور وأعاد تفحصها الواحدة تلو الأخرى . وفجأة ، انفجر في الضحك ، قائلا :

- "ما هذه ؟" وهو يشير إلى صورة طير يطير . لم يكن الطير الوحيد الذي صورته ، ولكن هنا ظهر بوضوح طيران الغراب الذي أخذته . وابتسمت وهي تنظر إلى الصورة .

وتمنت أن يفهم ما ستقول :

- أعرف أنه من المستحيل سماع الطيور تطير في السماء . ولكني أتذكر الصوت الذي يحدثه الطير حين ينفش ريشه . من المؤكد اني سمعته وأنا صغيرة . ولكني لا أعلم لماذا انطبع ذلك في ذهني ؟ وكثيرا حين أرى طيرا يطير أشعر بل أنا متأكدة أني أسمعه .

وقربها "سام" منه وضمها إليه وأضافت "هنه" :

- بالنسبة لي هذه الصورة تمثل ذكرى صوت . لذا فهي عزيزة لدي.

وأسندت رأسها إلى صدره ، سعيدة ساكنة ، دقات قلبه تطمئنها .

قال "سام" :

- هما صعدا .

كان "تريفور" و"كلويه" يتباريان في الكلمات العذبة :

- أترين يا جميلتي ، بعض الناس ، الأذكياء مثلا يعرفون أن التحلية في المنزل لا تعني فقط أكل قطعة حلوى بالتفاح .

- أنت مقزز يا "تريفور" .

أمسك "سام" بيد "هنه" واتجه إلى الباب وقال بلهجة أرادها جادة :

- "تريفور" ! ألم أطلب منك أن تظل بالخارج ؟ أجاب "تريفور" وهو يقهقه.

- أخاف الظلام وخاصة إذا لم يرد أحد أن يدفئني .

ولحقت بهم "كلويه" . واقترب "تريفور" من الصور وأظهر ثناءه ببعض الهمهمات . ومع ذلك كان من الواضح أنه لم "يدخل" إلى الصور

ولم "يسمعها" . أما "كلويه" التي تعرفها ، فإنها فوجئت أن ترى أن "هنه" قررت أن تريها لهما . وسألت صديقتها .

- هل قلت له ؟ وهزت "هنه" رأسها بالنفي .

وسأل "سام" وقد أدهشه من "كلويه" تقطيب حاجبيها وهز كتفيها:

- تقول ماذا ؟ وأخيراً أجابت "هنه" :

- حسنا ! يريد "بيتر" أن أقدم صوري لـ"يتسبيللاميريت" .

وقاطعتها "كلويه" :

- ليس فقط أن تريها إياها ! هم يريدون أن يعرضوها في "جاليري ميريت" . هذا ما كانت تصبو له دائما والآن بعد أن قربت من هدفها فإنها تهملها . صاح "سام" بابتهاج :

- إني في غاية السرور . متى تذهب ..

- قررت أن أرفض .

وتنهدت "كلويه" بصوت عال . ولم يفهم "تريفور" شيئا ، وسألها "سام" ؟

- لماذا ؟

- لا أريد .

- من فضلك ، معي لا تقولي مثل هذه الإجابات . ألا يحلم كل المصورين بعرض أحسن كليشيهاتهم . ثم هذا فخر لك ! إنها صورة رائعة . ليس من حقك أن ترفضي يا "هنه" .

- لا ! من حقي أن أرفض ! لا أريد ، أتفهم ذلك ؟ لا أريد ولن أفعل !

كانت تكاد تصرخ وهي تتكلم وقد تقلصت أكتافها ورقبتها وجذعها وضمت قبضة يديها وسألها بلطف مدركاً المخاطرة :

- ماذا تخشين ؟ أنت خائفة ، أليس كذلك ؟ تعتقدين أن أحدا لن يفهمها ؟

- لا يعنيني أن أعرف إن كانوا فهموها أم لا . ما هي إلا صور على

كل حال . اسمع لن نتخاصم من أجل حفنة صور . من ... من يريد شايا مثلجاً ؟ وامسك بكتفيها وقال:

- "هنه" ، "هنه" ! انظري إليّ .

- ليس في نيتي أن أستمر في الحديث عن هذا ، أسمعت ؟

واضطرها إلى التركيز في عينيه بأن أبقى ذقنها مرفوعاً .

- مم تخافين ؟ لن يفهموا ماذا ؟ أو بالأصح هل تخشين ألا يفهموا جيداً ؟ ماذا تخشين أكثر ، النجاح أم الفشل .

وفي ثورة يائسة دفعت يديه وأفلتت . وصاحت وقد تبدل وجهها بتعبير الألم والحقد :

- أوه ! أتحسب نفسك ذكيا جداً ؟ ماذا تعرف عن الخوف ؟ أنت قابلته مرة واحدة واحدة وكاد أن يحطم حياتك . أنا عشت معه وأعيش معه في كل أيام حياتي الملعونة !

إنه رفيقي المخلص ، كلب حراستي . وهو يتبعني خطوة خطوة بمجرد أن أبتعد عن المنزل . هو ينتظرني عند تقاطع الطرق هو في كل مقابلة ويتمثل في وجه وهيئة ونظرة الغريب الذي يمر . هو ينتظرني حتى المساء ، حتى الدقيقة الأخيرة ما قبل النوم ثم بعد ذلك يجتاح أحلامي . أنا أعرف الخوف كما أعرف الفشل . كل حياتي سلسلة مكررة لا نهائية متعبة من الفشل . ولكنني أتصدى له ولا أهرب من أمامه في هذه الحلقة الدائمة .

أما عن الفشل ، فقد نلت نصيبي ! إذا كنت لا أريد أن أظهر صوري وإن كنت أخاف إظهارها فإني سأتحمل كما تحملت كل مخاوفي الأخرى .

لو كان "سام" رجلا قليل الذكاء لكان انهار ولأزعجته صراحة "هنه" القاسية ، هو يتألم ويشعر بجراحها وبالتي أصابته ولكنه تنفس بعمق ونظر إليها .

- لا اعتقد انك تخشين الفشل . فقد اذهلتني صورك كانها صاعقة . لا . انت تخشين النجاح ، هو الذي يشلك ويقلقك . انت تخافين ان يبلبل عالمك الصغير . انت تخشين ان ينتظر منك الناس اكثر مما تستطيعين إعطاءه . انت تخافين لانها احسن صورك وتخشين الا تستطيعي ان تاتي بمثل جمالها . صاحت وهي تغالب دموعها : "خطا!" .

- احقا ، كلما اخفيت هذه الصور عن العالم تشعرين بالامان. اليس كذلك؟

انت لا تستطيعين حتى ان تحقدي على عاهتك . ببساطة يا "هنه"، انت ككل الكائنات الإنسانية قلقة على المستقبل ومن المجهول . وتظلين تتساطين دائما إن كنت فعلا موهوبة او انك هاوية . هذا مريح جدا ! انت مت من الخوف ، هذا هو الشيء الوحيد الحقيقي الذي قلته هذا المساء . ولكن انت تموتين من خوفك الا تستطيعين ان تاخذي صوراً اخرى في مثل هذه الروعة .

تكلم "سام" بسرعة وهو يقطع الكلمات . هي لم تفهمها كلها ولكنها ادركت معناها بما يكفي للاعتراف بانه يقول الحق . وخجلت حتى الموت من ضعفها .

- اخرج من منزلي ! اذهب بعيدا ! ارحلوا كلكم ! اتركوني وحدي !

واستدارت حتى لا يراها احد منهم وهي تبكي .

وخرج "تريفور" و"كلويه" على اطراف اصابعهما بدون ان ينطقا وقد اذهلتهما هذه الثورة العارمة وهما يحقدان على "سام" لجرحه "هنه". وسمعهما "سام" وهما يهبطان الدرج . وعندما تاكد انهما بعيدان اخرج منديلا من جيبه واقترب من اعز امراة له في الوجود . لم يرد ان يعتذر او ان يقول كلاماً معسولا كالذي يقوله البعض ليخفف عنها ؛ بل اخذها من كتفيها وهمست :

- إني اكرهك . اتركني وحدي !

إذا كانت الحركة تعني حباً فإن الرقة التي مسح بها "سام" دموع "هنه" كشفت بطريقة صارخة مدى شغفه بها . وانتظر ان تتمالك وقال بهدوء :

- إني راحل . اريد فقط ان اتاكد ان عينيك جفتا وان اراها قبل ان ارحل . اريدك ان تعرفي مقدار ما فعلته منذ اخر مرة اعطيت لقلبك اجنحة .

واغلقت عينيها عندما طبع على حاجبيها قبلة ولم تفتحهما إلا بعد ان احست انه غادر الغرفة .

هي تقف في وسط الصالون تنظر إلى كل قطعة اثاث ، كل شيء وتفكر في جدتها . هي منهكة .

انحنت وجلست على الأرض .

وبهدوء غزت ذاكرتها موجة من الذكريات : اليوم الذي انتقلت فيه إلى هذا المنزل وثورة امها التي تنتقد كل شيء الفتاة الصغيرة "كلويه" ذات الاثنتي عشرة سنة وهي تراقبها من خلف القضبان المشتركة بينهما وكيف تقدمت "كلويه" دون ان تنطق بكلمة لتساعدها في تفريغ حقائبها . ووالدها الذي يصلح التركيبات الكهربائية ويحول كوخا صغيرا إلى حجرة سوداء ، بينما هي تعيد طلاء الصالون واللافتة التي علقتها فوق الباب . واصبح المنزل سكنا ، وتذكرت المداولات مع البنك ، والسلفيات والرهن العقاري وعملها الأول : كتالوج! ولا تنسى اباها وهما جالسان في المطبخ بعد دفن والدتها .

وذهبت ذاكرتها البعيدة اكثر إلى الطفولة . ورات يوم عيد ميلادها الذي قضته مع جدتها ، مرحها وشجون مراهقتها . مدرسة الصم ومعهد جايوديه ويوما ما منذ مدة اصبحت شابة .

وتنفست بهدوء وبعمق وهي تسترجع الماضي كم من اشياء حدثت

في حياتها . جميلة أو أقل جمالا ... وكثير من الأشياء العادية جدا لا تتكلم عنها أبدا . هي تحب حياتها . و هي فخور بما أنجزت هي سعيدة إلا إذا أظهرت صورها .

بالتأكيد هي تريد ذلك وكانت تريده أيضا ولكن ربما هو على حق ، ربما تخشى النجاح ، ونهضت وأطفأت النور ، كل هذه التغيرات في حياتها ! منذ أن تصدت بقوة لوالدتها .

وقضت بأن تلتحق بمدرسة متخصصة . ومع ذلك ، وفي هذه اللحظة لم تحسن المستقبل . بل بالعكس كانت تريد أن تتسلح لتواجهه وتحتمله .

وارتقت الدرج إلى مسطحة الدور الثاني . لا . هي لا ترغب في جديد ليغزو حياتها . هي هكذا سعيدة للغاية ، هل سيسعدها أكثر تعليق صورها على جدران "چاليري ميريت" ؟ ربما .

أخيرا . قليلا . حسنا ، كثيرا ، جدا . إذن ! أيساوي هذا كل هذه البلبلة ؟

وهذا الاضطراب هل ستنجح في أن تسيطر عليه ؟

كان آخر سؤال شائك ، وسيساعد حمام ساخن في اتخاذ القرار ، حمام يذكرها بليلة على شاطئ فرچينيا .

الفصل العاشر

صاحت "شيللا ميريت":

- ولكنها يا عزيزتي صور أسطورية !

إنها امرأة كبيرة ونحيفة ، شعرها غريب فهو خليط البرتقالي أكثر من الأحمر . لم ترتح إليها "هنه" ، ولكنها صبرت فهذه المرأة سوف تعرض أعمالها - وهكذا تعبر مس ميريت - أعمالها في الچاليري الشهيرة جدا الخاصة بها .

ثم إنها أعجبت جدا بأعمال "هنه" . هي تنظر طويلا إلى كل صورة ، ترفعها إلى النور وتراعها على صدرها كمن تحتمي من هجمة وكان السكتة الدماغية هي حالتها الطبيعية .

- ولكن يا صغيرتي ، إنها مملوءة بالضوضاء والغضب الضوضاء والغضب ! وسألت "هنه" "كلويه":

- ماذا قالت ؟ ضوضاء وغضب ؟

www.elromancia.com

- هو ذاك !

- يا عزيزتي إني أسمع هذا الكلب يعوي وأشعر بالأحاسيس التي بكل هذه الصور ، هي ببساطة غير عادية انا مفتونة بها ! حسنا ، سنسمي هذا العرض ضوضاء وغضب الصمت ، اتمانعين ؟ أجابت "هنه" وهي تجد مشقة عظيمة في أن تتبع كلماتها المتدفقة .

- " هذا يناسبني تماما يا سيدتي "ميريت" .

- هل أنت متأكدة ؟

- " نعم ، أرجو فقط أن تعني هذه الكلمات شيئا " سألتها "شيللا" وهي تنظر في عيني "هنه" لأول مرة .

- فيم تفكرين ؟

- اريد أن أقول شكسبير .. ملأها الضوضاء .. خال من المعنى .

- نعم ، حسنا .. لا تقلقي بهذا الشأن سيخبرك أقرب أصدقائي أني لا أتأثر بسرعة . ومع ذلك فقد أثرت ، أكثر من الإثارة ، بهرتني صورك وبعمق . أتفهمين ؟ تساءلت "هنه" إلى أي مدى يكون العمق عند مثل هذه المرأة ؟ هل تعرف حقا إحساس الذين يشاهدون هذه الصور ؟ مثل "سام" ؟ أين هو الآن ! هل قابل أخرى ؟ وأخرى .. لا ! يجب أن تكف عن الهذيان ، سيختل عقلها اليوم الخميس وهي لم تره منذ ليلة الاثنين . لكن كان دهرا مضى . ومع ذلك فالأحياء يتشاجرون أحيانا .

يقولون ذلك في الكتب ويقولون أيضا إن هذا لا يهم كثيرا أو أنه أمر غير خطير . ويقال : إن هذا مفيد بل صحي- لماذا هي تتألم جداً ؟ غاب ثلاثة أيام غياب ثلاثة أيام ونصف . لم تتألم كل هذا الألم ؟ لأنه لم يرد على الرسالة التي تركتها له على الجهاز ؟ بل على الرسائل ؟ أو أنها بحبها جعلته يتألم وهي تذكره بضعفه من أيام مضت ؟ مع أنها تعلم أنه يقول الحقيقة وهي تغش نفسها ؟

وسألتها "كلويه" وهما في طريق العودة :

- أترغبين في أن أناديه لك ؟

- تنادين من ؟

- في رأيك ؟ ما من سبب يجعله لا يسامحك مثلما سامحته أنت ؟ ربما اعتقد أنك مازلت غاضبة ؟

- لا ... لقد طلبته ولم يجبني .

- قد لا يكون في البلدة ؟

- ليست عنده جولات هذا الأسبوع .

- في المزرعة ؟

- لا أعلم .

- دعيني أطلبه . إن الشباب يتخاصمون مع الصديقات ولكنهم يقولون لأمهاتهم إلى أين يذهبون خصوصا لو كانت مدام "ماكينون" .

- لكن .. لا أريد أن أبدو ملحة . لو كان لا يرغب" ....

لم تنتظر "كلويه" باقي الكلام ونهضت وأخذت التليفون و "هنه" ترقبها وقلبها يكاد ينخلع .

رأت "كلويه" وهي تطلب الرقم ثم تنادي . هي الآن تمزح ثم فجأة شحب وجهها، يكاد أن يسود .

- " ماذا ؟ ماذا حدث ؟ "سام" صرخت "كلويه" دون أن تجيب "هنه" .

- سنحضر حالاً . أين هذه المفاتيح الملعونة ؟

- ماذا ؟ "كلويه" ؟ ماذا حدث ؟

- إني .. إني لحقت بمدام "ماكينون" في آخر لحظة وهي راحلة إلى "مارتنفيلل" كلهم ، هناك ... "سام" عاد للتسابق .

بعد ذلك بمدة ستفاجأ "هنه" بأنها لا تتذكر شيئا عن الطريق إلى "مارتنفيلل" يخيل لها أنها ولا "كلويه" تتحدثان وخالت الدقائق ساعات والمنظر العام كأنه ديكور مسرح . وأخيرا وصلتا .. سيارات وشاحنات وسيارة إسعاف كانت تغادر أرض السباق . وصلتا متأخرتين وتوقفت

قافلة السيارات في الموقف ، في مدخل الطريق في اللحظة التي كانت المراتان تلفان للدخول . وتعرف عليهما الجميع ، وتوقفت أول شاحنة ورأت "هنه" في الخلف سيارة سباق سليمة ، ونظرت بانفعال في كل الاتجاهات .

وصدرت من "هنه" صرخة فرح عندما رأت "سام" ينزل من الباب الأمامي لإحدى الشاحنات وحسبت أن رؤيتها له ستخفف عنها وتسعدها ولكن هيهات . وعندما رأته يبتسم ، شعرت بحاجتها لتحطيم شيء أي شيء أن تكسر ، تمزق . واضطربت داخليا ولم تستطع السيطرة على نفسها . كانت في أقصى عصبيتها . فتحت باب سيارتها بعنف ونزلت منها ، وتقدم "سام" نحوها منتصرا ، مشرقا .. حتى إنه تقبل في ذراعه ضربة عنيفة من قبضة يدها . وصرخت في وجهه :

- أنت .. أ ... أجرؤت أن تقود هذا ... هذا الشيء ! أنت فعلت ذلك؟!

- نعم .

- أحمق ! أنت أغبى من قابلت - لا تقربني .

- لكن ..

- أحمق ، أنت أحمق ! لا تلمسني ! ابعد !

وامسك بها بحزم . هو يعرف أن كل من حولهما ، عائلته ، الميكانيكيون ، الموظفون الكل ينظر إليهما .. ما العمل إذن وفجأة انهارت فأدركها وضمها إليه .

- أعرف يا "سام" ، أعرف لم فعلت ذلك ، بسببي ، لكن .. لم يكن عليك .. أبدا... هذه حماقة !

- ولكن .. ماذا فعلت ؟

- بسبب ما قلته لك تلك الأمسية قدت هذه الآلة المرعبة . ما كان

يجب .. لم أفكر أبدا أن أسبب لك ألما . كنت أريدك أن ترحل وأن تتركني وحدي مع صوري . كنت أعلم أنك محق ، ليس عليك أن تثبت لي أي شيء ، أي شيء ، "سام" لأني أحبك .

ود "سام" أن يصرخ ويرقص فرحا .. هي تحبه ! هي تخشى من أجله . هي .

وأشار "سام" بيده إلى "تريفور" فانطلقت السيارات . سألت "هنه" ؟

- إلى أين ؟

- ستعود إلى المزرعة . ستحل "كلويه" مكاني ، تعالي .. ساقود أنا سيارتك .

وظل واقفا في وسط الممر ينظر إلى الشاحنات وهي تبتعد وسألته

- ألا تأتي ؟

- عندي شيء أريد أن أتكلم معك فيه بشأني أنا وأنت وعما فعلت اليوم .

كانت "هنه" تعرف ما سيقول . هو لن يسامحها . هو تخطى خوفه وسيستأنف السباقات . لم يعدلها مكان في حياته .

- أولا . ليس لما قلت لي تلك الليلة أي علاقة لما حدث اليوم ، فقد تباحثنا في ذلك أنا و"تريفور" الليلة السابقة لتلك .

حان الوقت أن أدفن الماضي حتى إني قررت إني أدعوك لمشاهدتي . ثم ... ثم ألم تقولي لي إنك تحبينني ؟

- مجنونة !

- إذن ، لن تقوليها لي ثانية ؟ هل مرت لحظة الجنون ؟

- ربما .

- قوليها

- أنت سافل !

www.elromancia.com

- قوليها .

- ليس سهلا أن تحب امراة . امراة

- ليس سهلا أن تحب امراة . ما عداي أنا

وقبلها برقة . قبلها طويلا . وبعنف وهو يضمها إليه وهي ملتصقة به . بين ذراعيه .

- أنا صبرت كثيرا جدا . لم أعد أطيق الانتظار . قوليها .

- أحبك .

الفصل الحادي عشر

هذه الليلة . كان في مزرعة "ماكينون" اجتماع عائلي جميل للغاية . ونهض "سام" .

- نحتفل الليلة بنجاح معرض " ضوضاء وغضب الصمت" . أمل بإخلاص أن تساهم هذه الصور في إيقاظ ضمير اناس آخرين مثلي . أمل أن يروها . أن يسمعوها . أحيي "هنه" . عينيها . فنها . وأتمنى لها أعظم نجاح .

تستطيع تحمله . "صاح "تريفور" وهو يتناول مشروبا :

- انتظر ! انتظر ! أنا اشرب . اشرب وأحيي كل جميلات العالم!

وتافقت "كلويه" وهي تقول :

- أنت منحرف الأخلاق . أرفض أن اشاركك هذه التحية .

- أتسمعين يا أمي ؟ هل أنا فاسد لأني أحب النساء ؟

- " على طريقتك " ... نعم . أخشى ذلك . وصاحت "كلويه"

www.ekromancia.com

- اجلس يا روميو. هذا دوري .. أنا أحيي "هنه" ، لرقتها ، وشجاعتها والحب الذي تغدقه على كل من حولها . شكرا انك صديقتي يا "هنه" !

احمر وجه "هنه" وأحست بذلك . جاء دورها لتجيب . ولكن لحسن الحظ تقدمتها مدام "ماكينون" :

- أنا أحيي "هنه" ومعرض أعمالها اتمنى له نجاحا ساحقا وأن يليه آخر في المستقبل . اشكر من كل قلبي الظروف التي تضطرني للذهاب إلى "ريشموند" . أحيي ايضا مهارة العزيزة "كلويه" المساعدة سندها الأول فتاوه "تريفور" وهو يصيح :

- الرحمة يا أمي ! لن يستطيع ان يقف في وجهها أحد !

- اتركني أتكلم ! أحيي ابني فانا فخور بهما وإني لمتأكدة انهما لن ينسيا ري أشجار الفاكهة قبل رحيلهما صباح الغد

وانتهت الأمسية مع ضحكاتهم . ولم تتقدم "هنه" بكلمة فيها مثلهم ماذا كان عساها أن تقول ؟

كيف كانت ستعبر عن امتنانها وعرفانها ؟ كيف تعبر عن الحب؟ وبعد أن خلدت الأم إلى غرفتها ، دار بين الأصدقاء الأربعة حديث طويل ولطيف . وفجأة انفجرت "كلويه" بالضحك .

وسألتها "هنه" : ماذا حدث ؟

- أنا .. فكرة كهذه . لقد أعدت مدام "ماكينون" اربع حجرات، ثلاث كانت تكفي، صاحت "هنه" :

- "اسكتي يا مزعجة ! تستحقين أن أعلن عن اسمك الشخصي لتريفور . وهنا قفز "تريفور" :

- كنت دائما أشك . فاللوحة لم تكتمل . "كلويه" تعني شيئا آخر : بابونج ، چنيتان او مسك رومي؟ وتذمرت "كلويه" :

- ها ! ها! ها!

- هيا ، ما هو ؟

- لا !

- هيا !

- لا يا "هنه" إني امقته !

ظل "تريفور" يسرد قائمة من الأسماء والكلمات كلها منفرة .

- اصمتوا كلكم . افضل الموت على البوح به .

وكانت حوالي الثانية صباحا حين كفوا عن المزاح واتجهوا إلى حجراتهم وتمطى "سام" وهو ينهض فهمس "تريفور" في أذن "كلويه" :

- حزري في أي سرير سينام ؟

- "لا تفشي لي اسراراً ! رد "تريفور" :

- "لا تلقي بالا . إني فقط غيور . خفضت "كلويه" راسها كي لا يراها تبتسم :

أضاف : "هي ذكية" :

- "وانا كذلك" .. واقترب "سام" من "هنه" :

- "كنت سأقول لك شيئا آخر .. اليس كذلك ؟

- أعرف

- ألا تريدين ؟

- إني خائفة . خائفة من أجلك ومن أجلنا إذا استانفت السباق.

- "اتفقنا على ذلك من مدة" أجابت وهي خافضة العينين :

- أنت محق .

- هيا .. ليس في نيتي هذا . سأقود فقط لأتسلى من وقت لآخر، لكن السباق انتهى بالنسبة لي" اتعلمين ؟ يعجبني عملي الجديد جد الإعجاب ،و...

- و ؟ ...

- وأنت هنا ؟

www.elromancia.com

حيا الاثنان "تريفور" و "كلويه" وخرجا من الحجرة

وحصلت "كلويه" على ما تبغي . هي الآن لا تخجل وتنظر لـ "تريفور" في عينيه :

- أكمل !

- هي جميلة .

- وأنا ؟

- أنت فتاة مزعجة .

وكلمها عن اسمها الشخصي . مالت إليه وهمست في أذنه بكلمتين يجب ألا يضحك مهما كانت الأسباب :

- هوم ! "كلويه" زهرة محبوبة ونغم ؟؟ غريب حقاً !

تمت

www.elromancia.com